



مهمسون على درب الانتظار

نصوص مختارة بقلم

الأمير العام لحزب الله

سماعة الشيخ نعيم قاسم

إعداد: مجلة بقیة الله



مهمّ دون
على درب الانتظار

الكتاب

ممهّدون على درب الانتظار
نصوص مختارة بقلم الأمين العام لحزب الله
سماحة الشيخ نعيم قاسم (حفظه الله)

إعداد

مجلة بقیة الله

إصدار

دار المعارف الإسلامية الثقافية

تصميم وطباعة

DB UH
00961 3 336218

تصميم الغلاف

مصطفى الإسكافي

الطبعة الأولى

بيروت - 2026م

ISBN:978-614-467-430-7



دار المعارف الإسلامية الثقافية

books@almaaref.org.lb

00961 01 467 547

00961 3 470 011

كتاب مجلة بقیة الله 10

مهمسون على درب الانتظار



نصوص مختارة بقلم

الأمير العام لحزب الله

سماعة الشيخ نعيم قاسم

إعداد: مجلة بقیة الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفهرس

7..... المقدمة

9 الفصل الأول : الارتباط المعرفي بالإمام

11 إعرف إمامك

17 الروايات الدالة على الإمام المهدي

23 ولادة الإمام المهدي

29 غيبة الإمام المهدي

35 علّة الغيبة الكبرى

41 الوعد الإلهي باستخلاف المؤمنين

45 القائم بالحق

53 المهدي خلاصة الهداة

61 يملؤها قسطاً وعدلاً

65 الفصل الثاني: الارتباط العملي بالإمام

67 التكليف والانتظار

73 أبعاد الانتظار

79 قدوة المنتظرين

83 أفضل من أهل كل زمان

87 المنتظرون للنصر العظيم

93 لنكون من جند الإمام

97	الظهور مقروناً بالجهاد
101	كلّنا أنصار المهديّ ﷺ
105	الجهاد مسار النبوة إلى الظهور
109	الثابتون على الولاية
113	أنصار الإمام المهديّ ﷺ في البلدان المختلفة
117	من آداب المنتظرين
123	كيف تكون ممهّداً؟

127.....الفصل الثالث : الشوق مسار الخلاص

129	وهل الدّين إلّا الحبّ؟
139	هل من سبيل لتعجيل الظهور؟
147	مع الإمام المهديّ ﷺ في زيارته
153	سلام العارفين بك
159	المدّخر لنصرة الدين
165	بولايته تُقبل الأعمال
171	بموالاته تُمحي الذنوب
177	المهديّ ﷺ كعبة الآمال

المقدمة

الصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

يذكر الإمام الخامنئي رحمته الله أن لتحقيق الولاية الصحيحة ثلاث ركائز أساسية لا بد من تحصيلها وترسيخها، وهي: الارتباط المعرفي بالولي، والارتباط السلوكي به، والارتباط العاطفي القلبي نحوه. فالولاية ليست مجرد انتماء عاطفي أو شعار مرفوع، بل هي وعي ومعرفة، والتزام عملي، ومحبة واعية تُترجم في السلوك والمواقف. فالموالي الحق هو من يعرف من يوالي، ويجعل أفعاله وأعماله منسجمة مع ما يحبه الولي ويرضاه، ثابتاً في مساره، منقاداً لتوجيهاته، غير متزلزل أمام التحديات.

يندرج هذا الكتاب - وهو الكتاب السنوي العاشر من سلسلة «كتاب مجلة بقية الله» - في سياق بيان معالم الارتباط بالإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام، بوصفه الولي الذي تتجه إليه آمال الموالين والمستضعفين، وينتظرون ظهوره ليقم العدل ويبدد الظلم؛ وهو ارتباط يقتضي إعداد النفس والمجتمع، وبناء الوعي، والسير في درب التمهيد العملي؛ ليكون المؤمن أهلاً للانضواء في صفوف أنصاره وجنوده.

وقد أسهمت مجلّة بقیة الله، التي دأبت على تخصيص كتابها السنوي عن الإمام المهديّ ﷺ وقضية غيبته وظهوره المبارك، على نشر المعارف المهدويّة الأصيلة، فكان هذا الكتاب ثمرة من الثمرات الطيبة ممّا خطّته أقلام علمائنا الأجلاء في الحديث عنه ﷺ؛ بغية تعميق المعرفة، وإحياء روح المسؤولية، وربط العقيدة بالسلوك والعمل.

ويمتاز هذا الكتاب بأنّ نصوصه كتبت بقلم الأمين العام لحزب الله سماحة الشيخ نعيم قاسم (حفظه الله)، ونشرت في مجلّة بقیة الله على مدار سنوات عديدة، وهو الذي جسّد في حياته وسلوكه معنى الولاية الصادقة، فلم يحفّ عن الحقّ، ولم يجارِ الباطل، بل جعل من عمره صفحة مشرقة من الجهاد والمعرفة والإرشاد والتبليغ.

ونضع هذا الكتاب بين يدي القارئ الكريم، راجين من المولى العليّ القدير أن يكون معيناً على سلوك دروب الحقّ في زمنٍ تكاثرت فيه الفتن، وانتشر فيه الباطل، وطغى فيه الظلم، سائلين الله تعالى أن يعجّل فرج صاحب العصر والزمان، وأن يوفّقنا جميعاً لنكون من المنتظرين الصادقين، والعاملين الممّهّدين، والجنود الثابتين بين يديه المباركتين.

مجلّة بقیة الله

الفصل الأول

الارتباط المعرفي بالإمام



قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ^١ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابُهُ^٢ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا^٣ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ^٤ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ^٥ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: 71 - 72).

تُبَيِّنُ الآيةُ الكريمة دور أئمة المجموعات البشرية وقادتها؛ إذ يكون الاستدعاء للحساب في يوم القيامة مقترناً بالموجّه، الذي أعطى التعليمات، وربّى، وثقّف، وقادّ، وحدّد المنهج الذي تسير عليه جماعته، وهذا ما يُبرز دور إمام كلّ مجموعة بشرية في تصويب مسارها أو حرفه، ومسؤوليّة كلّ واحد من البشر في اختياره لإمامه؛ لما يترتّب على هذا الاختيار من صلاح أو فساد، وثواب أو عقاب.

• لكلّ زمان إمام

ذكر العلامة الطباطبائيّ قدس سرّه في تفسير (الميزان) تفصيلاً لهذه الآية، فقال: «عن الفضيل قال: سألت أبا جعفر [الباقر] عليه السلام عن قول الله: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ﴾، قال: «يجيء رسول الله ﷺ في قومه، وعلي في قومه، والحسن في قومه، والحسين في قومه، وكلّ من مات بين ظهرائي إمام جاء معه»⁽¹⁾.

(1) البرهان في تفسير القرآن، السيّد هاشم البحرانيّ، ج3، ص551.

وفي مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب، عن الصادق عليه السلام:
«ألا تحمدون الله؟ إنه إذا كان يوم القيامة، يُدعى كل قوم إلى مَنْ
يتولّونه، وفزعنا إلى رسول الله ﷺ، وفزعتم أنتم إلينا»⁽¹⁾.

أقول: ورواه في (المجمع)، عنه عليه السلام، وفيه دلالة على أنّ رسول
الله ﷺ إمام الأئمة، كما أنّه شهيد الشهداء، وأنّ حكم الدعوة
بالإمام جارٍ بين الأئمة أنفسهم.

وفي (مجمع البيان)، روى الخاصّ والعامّ، عن عليّ بن موسى
الرضا عليه السلام، بالأسانيد الصحيحة، أنّه روى عن آبائه، عن النبيّ ﷺ
أنّه قال فيه: «يُدعى كلّ أناس بإمام زمانهم، وكتاب ربّهم، وسنة
نبيّهم»⁽²⁾.

أقول: ورواه في تفسير (البرهان)، عن ابن شهر آشوب، عنه،
عن آبائه، عن النبيّ ﷺ بلفظه، وقد أسنده أيضاً إلى رواية الخاصّ
والعامّ⁽³⁾.

وفي (الدرّ المنتور)، أخرج ابن مردويه، عن عليّ قال: قال رسول
الله ﷺ: «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ» قال: «يُدعى كلّ قوم بإمام
زمانهم، وكتاب ربّهم، وسنة نبيّهم»⁽⁴⁾.

(1) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج2، ص264.

(2) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، ج6، ص275.

(3) البرهان في تفسير القرآن، السيّد هاشم البحراني، ج3، ص555.

(4) الدرّ المنتور في التفسير بالمأثور، السيوطي، ج4، ص194.

وفي (تفسير العياشي)، عن عمّار الساباطي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا تُترك الأرض بغير إمام، يحلّ حلال الله، ويحرّم حرامه، وهو قول الله: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْيِهِمْ﴾»، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: من مات بغير إمام مات ميتة جاهليّة»⁽¹⁾.

يقول السيّد الطباطبائي قدس سرّه: «ووجه الاحتجاج بالآية، عموم الدعوة فيها لجميع الناس»⁽²⁾.

إنّ دور الإمام القائد أساسي في حياة الناس، وقد اختار الله تعالى أئمة الهدى المعصومين، إذ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: 33)؛ ليكون التوجيه سليماً بالكامل، ويحقّق الطمأنينة بنتيجة الأعمال؛ ذلك أنّ الارتباط بأفراد يجتهدون بأرائهم وتجاربهم الشخصية، ويعانون من نقص في الرؤية المتكاملة، ويكثرون من الأخطاء بسبب جهلهم، يضيّع من معهم، ويشتت إمكاناتهم، ويحملهم تبعات الانحراف.

• معرفة إمام الزمان

مما تقدّم، جاء حتّ المؤمن على أن يبحث عن إمام زمانه؛ ليعرف طريق الخلاص الحقيقي، ويستقيم مساره في الدنيا، وإلاّ مات ميتة جاهليّة؛ لأنّ أيّ خيار لا يوصل إلى المعصوم خيار ناقص وخاطئ، ويفضي إلى تراكم الانحراف بسبب العجز والجهل، فيؤدّي إلى خيار مختلف عن الإسلام، وهو خيار الجاهليّة.

(1) تفسير العياشي، العياشي، ج2، ص303.

(2) الميزان في تفسير القرآن، العلامة الطباطبائي، ج13، ص170 - 171.

عن الفضيل بن يسار، قال: ابتدأنا أبو عبد الله عليه السلام يوماً، وقال عليه السلام: «قال رسول الله ﷺ: مَنْ مات وليس عليه إمام، فميتته ميتة جاهليّة».

فقلتُ: فكُلّ مَنْ مات وليس له إمام، فميتته ميتة جاهليّة؟ قال عليه السلام: «نعم»⁽¹⁾.

وعن الرسول ﷺ: «من مات بغير إمام مات ميتة جاهليّة»⁽²⁾.
وعن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، عن رسول الله ﷺ:
«من أنكر القائم من ولدي في زمان غيبته (ف) مات (فقد مات) ميتة جاهليّة»⁽³⁾.

وقد سُئل الإمام العسكري عليه السلام عن الخبر المرويّ عن آبائه عليهم السلام: «أَنَّ الأرض لا تخلو من حُجّة لله على خلقه إلى يوم القيامة، وأنَّ من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة. فقال عليه السلام: إِنَّ هذا حقّ كما النهار حقّ.

ف قيل له: يا بن رسول الله، فَمَنْ الحُجّة والإمام بعدك؟

فقال عليه السلام: ابني محمّد، هو الإمام والحُجّة بعدي، مَنْ مات ولم يعرفه مات ميتة جاهليّة؛ أما أَنّ له غيبة يحار فيها الجاهلون، ويهلك فيها المبطلون، ويكذب فيها الوقّاتون»⁽⁴⁾.

(1) الكافي، الشيخ الكليني، ج1، ص376.

(2) مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، ج4، ص96.

(3) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص413.

(4) المصدر نفسه، ص378.

• لا تبقى الأرض بغير إمام

لم يترك الله جلّ وعلا الدنيا بغير إمام منذ آدم عليه السلام، فعن الإمام الكاظم عليه السلام: «ما ترك الله عزّ وجلّ الأرض بغير إمام قط منذ آدم عليه السلام، يُهتدى به إلى الله تعالى عزّ وجلّ، وهو الحجة على العباد، فمن تركه ضلّ، ومن لزمه نجا، حقاً على الله عزّ وجلّ»⁽¹⁾.

ولو بقيت الأرض بغير إمام، لساخت واختلّ التوازن البشريّ فيها، وحصل نقص كبير بعدم توفير مقوم أساسي من مقومات الهداية الإلهيّة، فعن أبي حمزة الثماليّ يسأل الإمام الصادق عليه السلام: «أبقى الأرض بغير إمام؟ فأجاب عليه السلام: «لو بقيت الأرض بغير إمام ساعة لساخت»⁽²⁾.

إنّ معرفة الإمام تؤدّي إلى حسم المنهج والخيار، سواء اتصل المؤمن بإمامه مباشرة، أو اتّصل بمن يحملون رايته ومنهجه، ويوصلونه إلى الاقتداء به وبتوجيهاته ومواقفه؛ أي إنّ الارتباط بالإمام الذي يُنقذ من الجاهليّة يتحقّق بمعرفته والاقتداء به، وبالتالي عندما نكون في زمن الغيبة الكبرى للإمام المهديّ عليه السلام كما هي حالنا اليوم، فإنّ معرفتنا بإمامته، وسيرنا على منهجه، يرسمان لنا طريق النجاة، ولا يضرّنا إذا تقدّم الظهور وكان سريعاً وعاجلاً، أو تأخّر عن زماننا وكان مؤجّلاً؛ لأنّ بركاته ونتائج الإيمان به تكون قد

(1) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص221.

(2) المصدر نفسه، ص201.

تحققت في حياتنا وأدائنا، وهذا هو الهدف الحقيقي من تحديد الإمام القدوة لاتباعه، فعن الإمام الباقر عليه السلام: «مَن مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهليّة، ومَن مات وهو عارف لإمامه لم يضرّه تقدّم هذا الأمر أو تأخّر، ومن مات وهو عارف لإمامه كان كمن هو مع القائم في فسطاطه»⁽¹⁾.

(1) الكافي، الشيخ الكليني، ج 1، ص 371.

تواترت الروايات عند المسلمين سنّةً وشيعةً على أنّ نسب الإمام المهديّ ﷺ يرجع إلى العترة الطاهرة من أهل بيت رسول الله ﷺ، واختلفت في مسألة ولادته. فالشيعة يحدّدونه بالإمام الثاني عشر محمّد بن الحسن العسكريّ (عليه السلام)، الذي وُلد وغاب عن الأنظار، وسيظهر في آخر الزمان؛ والسنة يبيّشرون بولادته في آخر الزمان، على أساس أنّه لم يولد بعد. وهذا ما تتلمّسه من خلال استعراض بعض الروايات في هذا الشأن من كتب الفريقين:

• اثنا عشر خليفةً أو أميراً

تخبرنا الروايات عن اثني عشر خليفةً أو أميراً، كلّهم من قريش، يتولّون شؤون المسلمين، فهم قادتهم الحقيقيّون، ولا ينقضي أمر الدنيا حتّى يتولّى هؤلاء الاثنا عشر مسؤوليّة الإمارة والقيادة.

ففي (صحيح مسلم)، عن جابر بن سمرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليّهم اثنا عشر رجلاً. ثمّ تكلم ﷺ بكلمة خفيت عليّ، فسألت أبي: ماذا قال رسول الله ﷺ؟ فقال: كلّهم من قريش»⁽¹⁾.

(1) صحيح مسلم، مسلم النيسابوريّ، ج6، ص3.

وروى الشيخ الصدوق في (الخصال) الرواية نفسها تقريباً، عن جابر بن سمرة، قال: أتيت النبي ﷺ فسمعتة يقول: «إِنَّ هذا الأمر لن ينقضي حتّى يملك اثنا عشر خليفة كلّهم...» فقال كلمة خفيّة لم أفهمها، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: قال ﷺ: «كلّهم من قريش»⁽¹⁾. وفي (صحيح البخاري)، استخدم كلمة أمير بدل خليفة في رواية من رواياته، عن جابر بن سمرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكون اثنا عشر أميراً، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنّّه قال: كلّهم من قريش»⁽²⁾.

أمّا في (مسند أحمد)، فقد ذكر الرواية بصيغة ليس فيها تساؤل عن الكلمة التي خفيت، فروى عن رسول الله ﷺ قوله: «يكون بعدي اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش»⁽³⁾.

وفي رواية مشابهة رواها الشيخ الصدوق في (الخصال)، قال رسول الله ﷺ: «لا يزال أمر أمّتي ظاهراً حتّى يمضي اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش»⁽⁴⁾.

• الكتاب والعترة

تربط الروايات بين القرآن الكريم كتاب الله تعالى، والعترة الطاهرة من أهل بيت رسول الله ﷺ، في أنّهما لن يفترقا، كمؤشّر لتلازم

(1) الخصال، الشيخ الصدوق، ص470.

(2) صحيح البخاري، البخاري، ج8، ص124.

(3) مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، ج5، ص92.

(4) الخصال، الشيخ الصدوق، ص475.

الإيمان بهما، والاسترشاد بهديهما، والتمسك بهما للحماية من الضلال. فالقرآن كتاب الله الموجّه والمعلّم والمرشد، وأهل البيت عليه السلام يمثلون السلوك التطبيقي لأوامر الله تعالى وأوامر رسوله ﷺ.

وكتعبير عن مسؤوليّة المسلمين في الاقتداء بهما، ورد في الرواية: «فانظروا كيف تخلفوني فيهما». ففي سنن الترمذي، عن زيد بن أرقم، قال رسول الله ﷺ: «إني تاركٌ فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر؛ كتاب الله حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»⁽¹⁾.

وفي (مسند أحمد)، بصيغة قريبة، عن أبي سعيد الخدري، قال رسول الله ﷺ: «إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني تاركٌ فيكم الثقلين: كتاب الله عزّ وجلّ، وعترتي؛ كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّ اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروني بمّ تخلفوني فيهما»⁽²⁾.

• القائم ﷺ من ولد عليّ عليه السلام

إنّ الإمام المهديّ ﷺ من ولد عليّ عليه السلام، فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن الرسول ﷺ أنّه قال:

«إنّ عليّ بن أبي طالب إمامٌ أمّتي، وخليفتي عليها من بعدي،

(1) سنن الترمذي، الترمذي، ج5، ص328.

(2) مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، ج3، ص17.

وَمِنْ وَلَدِهِ الْقَائِمُ الْمُنْتَظَرُ، الَّذِي يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطًا، كَمَا مَلَأْتُ جَوْرًا وَظُلْمًا. وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ بَشِيرًا، إِنَّ الثَّابِتِينَ عَلَى الْقَوْلِ بِهِ فِي زَمَانٍ غَيَّبَتْهُ لَأَعَزُّ مِنَ الْكَبْرِيتِ الْأَحْمَرِ.

فَقَامَ إِلَيْهِ جَابِرُ الْأَنْصَارِيِّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلِلْقَائِمِ مِنْ وَلَدِكَ غَيْبَةٌ؟ فَقَالَ ﷺ: «إِي وَرَبِّي، وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيُمَحِّقَ الْكَافِرِينَ. يَا جَابِرُ، إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَسَرٌّ مِنْ سَرِّ اللَّهِ، مَطُوبٌ عَنْ عِبَادِ اللَّهِ، فَإِيَّاكَ وَالشَّكَّ فِيهِ، فَإِنَّ الشَّكَّ فِي أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كُفْرٌ»⁽¹⁾.

• الْقَائِمُ ﷺ مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ ﷺ

إِنَّهُ مِنْ وَلَدِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ ﷺ، اسْمُهُ اسْمُ رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَظَهْوَرُهُ حَتْمِيٌّ، فَعَن رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ، لَطَوَّلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ، حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنْ وَلَدِي، اسْمُهُ اسْمِي.

فَقَامَ سَلْمَانُ الْفَارَسِيُّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مِنْ أَيِّ وَلَدِكَ هُوَ؟

قَالَ ﷺ: «مِنْ وَلَدِي هَذَا، وَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى الْحُسَيْنِ ﷺ»⁽²⁾.

كَمَا أَنَّ آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ هُمُ الْمَقْصُودُونَ بِوَرَاثَةِ الْأَرْضِ، وَمَهْدِيُّهُمْ مِنْهُمْ، فَعَن الْإِمَامُ عَلِيُّ ﷺ - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص: 5) - قَالَ:

(1) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص 287.

(2) كشف الغمّة في معرفة الأئمة، ابن أبي الفتح الأربلي، ج 3، ص 268.

«هم آل محمد ﷺ، يبعث الله مهديهم بعد جهدهم، فيعزهم،
ويذل عدوهم»⁽¹⁾.

وفي مسند أحمد، عن أبي سعيد الخدري، قال رسول الله ﷺ:
«لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً، ثم يخرج رجل
من عترتي أو أهل بيتي، يملؤها قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً
وعدواناً»⁽²⁾.

وفي رواية أخرى: «لا تقوم الساعة حتى يلي رجل من أهل
بيتي، يواطئ اسمه اسمي»⁽³⁾.

• شبه رسول الله ﷺ

إن الإمام المهدي ﷺ أشبه الناس خلقاً وخلقاً برسول الله ﷺ،
تكون له غيبة وحيرة؛ أي إنه يكون مولوداً وغائباً، ثم يظهر مقبلاً
كالشهاب الثاقب، فعن رسول الله ﷺ: «المهدي من ولدي، اسمه
اسمي، وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً، تكون له غيبة
وحيرة، تضل فيها الأمم، ثم يقبل كالشهاب الثاقب، يملؤها عدلاً
وقسطاً، كما ملئت جوراً وظلماً»⁽⁴⁾.

يدعو إلى ملّة رسول الله ﷺ وشريعته، بحيث لا يحتمل كلامه
أو موقفه أي شك أو تأويل، فهو إمام معصوم، ولذا تكون طاعته

(1) الغيبة، الشيخ الطوسي، ص184.

(2) مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، ج3، ص36.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص376.

(4) المصدر نفسه، ص286.

طاعةً لله ورسوله، ومعصيته معصيةً لله ورسوله، فهنيئاً لمن آمن به
 واتبعه، وتعساً لمن خالفه وانقلب عليه. فعن الإمام الصادق عليه السلام،
 عن أبيه عن جده، قال: «قال رسول الله ﷺ: القائم من ولدي،
 اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، وشماله شمالي، وسنته سنتي، يُقيم
 الناس على ملتي وشريعتي، ويدعوهم إلى كتاب ربي عزَّ وجلَّ، من
 أطاعه فقد أطاعني، ومن عصاه فقد عصاني، ومن أنكره في غيبته
 فقد أنكرني، ومن كذَّبه فقد كذَّبني، ومن صدَّقه فقد صدَّقني، إلى
 الله أشكو المكذِّبين لي في أمره، والجاحدين لقولي في شأنه،
 والمضلين لأمتي عن طريقته، وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلبٍ
 ينقلبون»⁽¹⁾.

(1) مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، ج3، ص411.

3 ولادة الإمام المهديّ ﷺ

ولد الإمام المهديّ ﷺ محمّد بن الحسن العسكريّ في مدينة سامراء في دار أبيه، ليلة الجمعة في الخامس من شهر شعبان من سنة 255هـ على أشهر الروايات.

أمّه جارية اسمها نرجس، وهي ابنة قيصر الروم، كانت قد وقعت في أسر المسلمين. ويروى أنّ اسمها مليكة. ولدتها عمتها حكيمة، بطلب من والده الإمام العسكريّ ﷺ، وقد استغرقت ذلك ليلة استدعائها؛ لأنّ الحمل لم يكن ظاهراً ولا بارزاً على بطن أمّ الإمام المهديّ ﷺ، لكنّ الإمام العسكريّ ﷺ بيّن لها أنّ مثلها مثل أم موسى ﷺ التي لم يظهر حملها؛ لحماية موسى ﷺ من فرعون وجنوده، الذين كانوا يتعقبون كلّ امرأة حامل لقتل جنيها؛ خوفاً من زوال ملك فرعون على يديه.

وفي تعليل هذا الأمر، يقول الإمام الصادق ﷺ: «أمّا مولد موسى ﷺ، فإنّ فرعون لما وقف على أنّ زوال ملكه على يده، أمر بإحضار الكهنة، فدثّوه على نسبه، وأنّه يكون من بني إسرائيل، ولم يزل يأمر أصحابه بشقّ بطون الحوامل من نساء بني إسرائيل، حتّى قتل في طلبه نيفاً وعشرين ألف مولود، وتعدّر عليه الوصول إلى قتل موسى ﷺ؛ بحفظ الله تبارك وتعالى إيّاه. كذلك بنو أميّة وبنو العبّاس، لما وقفوا على أنّ زوال ملكهم وملك الأمراء

والجبابرة منهم على يد القائم منّا، ناصبونا العداوة، ووضعوا سيوفهم في قتل آل الرسول ﷺ، وإبادة نسله؛ طمعاً منهم في الوصول إلى قتل القائم، ويأبى الله عزّ وجلّ أن يكشف أمره لواحد من الظلمة، إلّا أن يتمّ نوره ولو كره المشركون»⁽¹⁾.

• التشكيك في ولادته

لقد شكّك بعضهم في ولادة الإمام المهديّ ﷺ. ولعلّ السرية التي أحاطت مولده من ناحية، ورغبة بعض الجهات في إنكار ولادته لغايات عندهم من ناحية أخرى، كانت وراء هذا التشكيك، الذي أخبرنا عنه مُسبقاً رسول الله ﷺ؛ فعن الإمام الرضا ﷺ، عن أبيه، عن آبائه، عن عليّ ﷺ، عن الرسول ﷺ: «والذي بعثني بالحقّ بشيراً، ليغيبنّ القائم من ولدي بعهدٍ معهودٍ إليه منّي، حتّى يقول أكثر الناس: ما لله في آل محمّد من حاجة، ويشكّ آخرون في ولادته، فمّن أدرك زمانه، فليتمسّك بدينه، ولا يجعل للشيطان إليه سبيلاً بشكّه، فيزيله عن ملّتي، ويخرجه عن ديني، فقد أخرج أبويكم من الجنّة من قبل، وإنّ الله عزّ وجلّ جعل الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون»⁽²⁾.

وعن زرارة، عن الإمام الصادق ﷺ: «وهو الذي يُشكّ في ولادته، فمنهم من يقول: بات أبوه بلا خَلْفٍ، ومنهم من يقول: حمِلَ (أي مات أبوه وهو حمل)، ومنهم من يقول: إنّه ولد قبل

(1) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص354.

(2) المصدر نفسه، ص51.

موت أبيه بسنتين، وهو المنتظر، غير أنَّ الله عزَّ وجلَّ يحبُّ أن
يتمتحن الشيعة، فعند ذلك يرتاب المبتلون يا زرارة.

قال زرارة: قلت: جعلت فداك، إنْ أدركتُ ذلك الزمان، أيَّ شيء
أعمل؟

قال الإمام عليه السلام: يا زرارة، إذا أدركت هذا الزمان، فادعُ بهذا
الدعاء: اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي نَفْسَكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ
نَبِيَّكَ، اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي رَسُولَكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَعَرِّفْنِي رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفْ
حَجَّتَكَ، اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي حَجَّتَكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَعَرِّفْنِي حَجَّتَكَ ضَلَلْتُ
عَنْ دِينِي»⁽¹⁾.

• خبر ولادته

لقد تواتر خبر ولادة الإمام المهدي عليه السلام في كُتُب السنَّة والشيعة،
من عشرات المؤرِّخين، ومئات العلماء من مختلف الفرق الإسلاميَّة⁽²⁾.

ولقد حرص الإمام العسكري عليه السلام على إخبار جماعة من
المؤمنين الخُلص بولادته؛ ليكونوا شهوداً على ذلك، وتمهيداً لإمامته
عليهم، فقد كتب لأحمد بن إسحاق بذلك قائلاً: «وُلِدَ لَنَا مَوْلُودٌ،
فليكن عندك مستوراً، وعن جميع الناس مكتوماً، فإنَّا لَمْ نُظْهِرْ عَلَيْهِ
إِلَّا الْأَقْرَبَ لِقَرَابَتِهِ، وَالْوَلِيَّ لَوْلَايَتِهِ، أَحْبَبْنَا إِعْلَامَكَ لَيْسَرَكُ اللَّهُ بِهِ،
مِثْلَ مَا سَرَّنَا بِهِ، وَالسَّلَامُ»⁽³⁾.

(1) الكافي، الشيخ الكليني، ج1، ص337.

(2) أعلام الهداية، المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام، ج14، ص113.

(3) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص434.

كما نقل جعفر الفزاري، عن جماعة من أربعين رجلاً حضروا مجلس الإمام العسكري عليه السلام، وقد عرّفهم على الحجة عليه السلام، وأخبرهم بإمامته عليهم من بعده، فقد روي أنّ عثمان بن سعيد العمريّ قال للإمام العسكريّ عليه السلام في هذا المجلس: «يا بن رسول الله، أريد أن أسألك عن أمرٍ أنت أعلم به مني. فقال له عليه السلام: اجلس يا عثمان، فقام مغضباً ليخرج. فقال عليه السلام: لا يخرجنّ أحد. فلم يخرج منّا أحد إلى أن كان بعد ساعة، فصاح عليه السلام بعثمان، فقام على قدميه، فقال: أخبركم بما جئتم؟ قالوا: نعم، يا بن رسول الله. قال: جئتم تسألوني عن الحجة من بعدي؟ قالوا: نعم؛ فإذا غلامٌ كأنّه قطع قمر، أشبه الناس بأبي محمّد، فقال عليه السلام: هذا إمامكم من بعدي، وخليفتي عليكم، أطيعوه ولا تتفرّقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم، ألا وإنكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتّى يتمّ له عُمر، فاقبلوا من عثمان ما يقول، وانتهوا إلى أمره، واقبلوا قوله، فهو خليفة إمامكم، والأمر إليه»⁽¹⁾.

ونقل الشيخ الصدوق الخبر نفسه بصيغة قريبة، عن جعفر الفزاري، عن جماعة منهم محمّد بن عثمان العمريّ، قالوا: عرض علينا أبو محمّد الحسن بن عليّ عليه السلام ونحن في منزله، وكنا أربعين رجلاً، فقال: «هذا إمامكم من بعدي، وخليفتي عليكم، أطيعوه ولا تتفرّقوا من بعدي في أديانكم فتهلكوا، أما إنكم لا ترونه بعد

(1) الغيبة، الشيخ الطوسي، ص 357.

يومكم هذا. قالوا: فخرجنا من عنده، فما مضت إلا أيامٌ قلائل حتى مضى أبو محمد عليه السلام»⁽¹⁾.

تدلّ الروایتان المتقدمتان على وجود هدفين من لقاء الإمام العسكري عليه السلام بهذا العدد من مناصريه:

الأول: إخبارهم عن إمامة المهدي عليه السلام من بعده.
الثاني: تهيئتهم لغيبته؛ لأنهم لن يتواصلوا معه كما كانوا مع الإمام العسكري عليه السلام. وقد اتضح من الرواية الثانية، تعريفهم على وكيل الحجة عليه السلام عثمان بن سعيد العمري، كصلة وصل بين الحجة عليه السلام والمؤمنين.

• خبر الإمامة

أبلغ الإمام الحسن العسكري عليه السلام ولده بإمامته بعد موته، كما كان يُبلغ كل إمام من بعده، ويطلع المحيطين بالإمام والمؤمنين به على هذه الروايات الخاصة، فضلاً عن الروايات العامة المجملة عن الرسول عليه السلام والأئمة عليهم السلام، التي تتحدث عن الأئمة بمجموعهم وبأسمائهم.

روي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام وهو على فراش الموت، قوله لولده الإمام محمد بن الحسن عليه السلام: «أبشر يا بني، فأنت صاحب الزمان، وأنت المهدي، وأنت حجة الله على أرضه، وأنت ولدي ووصيي، وأنا ولدتك، وأنت محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن

(1) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص 435.

عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ
بن أبي طالب عليه السلام، ولدك رسول الله ﷺ، وأنت خاتم الأئمة
الطاهرين، صلّى الله على أهل البيت، ربّنا إنّك حميد مجيد»⁽¹⁾.

(1) الغيبة، الشيخ الطوسي، ص272.

على الرغم من الإجراءات التي اتخذها الإمام العسكري عليه السلام بتعريف المقرّبين منه عن انتقال الإمامة من بعده إلى ولده الإمام المهدي عليه السلام، فإنّ أخا الإمام العسكري عليه السلام جعفرًا (الكذاب)، حاول اقتناص الفرصة عند شهادة أخيه، ليتصدّى للإمامة، مدّعيًا لها، مبتدئًا ذلك بمحاولة إمامة الصلاة جماعة على جنازة أخيه؛ إذ الإمام يصلي عليه الإمام الذي يليه، وما إن تقدّم للصلاة، حتّى فاجأه الإمام المهدي عليه السلام بحضوره، قائلاً له: «تأخّر يا عمّ، فأنا أحقّ بالصلاة على أبي»⁽¹⁾، وذلك بحضور حوالي أربعين من المؤمنين، كما ذكر الشيخ الصدوق:

«حدّث أبو الأديان قال: كنت أخدم الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأحمل كتبه إلى الأمصار، فدخلت عليه في علّته التي توفي فيها، صلوات الله عليه، فكتب معي كتابًا، وقال: امض بها إلى المدائن، فإنّك ستغيب خمسة عشر يومًا، وتدخل إلى «سرّ من رأى» يوم الخامس عشر، وتسمع الواقعة في داري، وتجدني على المغتسل. قال أبو الأديان: فقلت: يا سيّدي، فإذا كان ذلك، فمَنْ؟

(1) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص475.

قال: مَنْ طالبك بجوابات كتبي، فهو القائم من بعدي. فقلت: زدني. فقال: مَنْ يصلي عليَّ فهو القائم بعدي. فقلت: زدني.

فقال: مَنْ أخبر بما في الهميان فهو القائم بعدي. ثمَّ منعتني هيئته أن أسأله عمَّا في الهميان. وخرجت بالكتب إلى المدائن، وأخذتُ جواباتها، ودخلتُ «سرَّ من رأى» يوم الخامس عشر، كما ذكر لي عليه السلام، فإذا أنا بالواعية في داره، وإذا به على المغتسل، وإذا أنا بجعفر بن عليٍّ أخيه بباب الدار، والشيعة من حوله، يعزّونه ويهنّونه، فقلتُ في نفسي: إن يكن هذا الإمام فقد بطلت الإمامة؛ لأتّي كنت أعرفه يشرب النبيذ، ويقامر في الجوسق، ويلعب بالطنبور، فتقدّمتُ فعزّيتُ وهّيتُ، فلم يسألني عن شيء، ثمَّ خرج عقيد (الخادم) فقال: يا سيّدي، قد كُفّن أخوك، فقم وصلِّ عليه، فدخل جعفر بن عليٍّ والشيعة من حوله، يقدمهم السّمّان، والحسن بن عليٍّ قتيل المعتصم المعروف بسلمة. فلمّا صرنا في الدار، إذا نحن بالحسن بن عليٍّ عليه السلام على نعشه مكفّنًا، فتقدّم جعفر بن عليٍّ ليصليّ على أخيه، فلمّا همَّ بالتكبير، خرج صبيٌّ بوجهه سمره، بشعره قطط، بأسنانه تفليج، ف جذب برداء جعفر بن عليٍّ، وقال: تأخّر يا عمّ، فأنا أحقّ بالصلاة على أبي، فتأخّر جعفر وقد اربدَّ وجهه واصفرّ. فتقدّم الصبيّ، وصلّى عليه، ودفن إلى جانب قبر أبيه عليه السلام ثمَّ قال (المهديّ عليه السلام): يا بصري، هات جوابات الكتب التي معك، فدفعتها إليه.

فقلت في نفسي: هذه بيّنتان، بقي الهميان، ثم خرجت إلى جعفر بن علي وهو يزفر، فقال له حاجز الوشاء: يا سيدي من الصبي لنقيم الحجة عليه؟ فقال: والله، ما رأيته قط، ولا أعرفه. فنحن جلوس إذ قدم نفر من قم، فسألوا عن الحسن بن علي عليه السلام فعرفوا موته، فقالوا: فمن (نعرّي)؟ فأشار الناس إلى جعفر بن علي، فسلموا عليه، وعزّوه وهنّوه، وقالوا: إن معنا كتباً ومالاً، فتقول: ممّن الكتب؟ وكم المال؟ فقام ينفذ أثوابه ويقول: تريدون ممّا أن نعلم الغيب، قال: فخرج الخادم، فقال: معكم كتب فلان وفلان (وفلان)، وهميان فيه ألف دينار وعشرة دنائير منها مطلية، فدفعوا إليه الكتب والمال، وقالوا: «الذي وجّه بك لأخذ ذلك هو الإمام»⁽¹⁾.

وفصل الشيخ الطوسي خبر الصلاة على جنازة الإمام العسكري عليه السلام بالرواية الآتية:

عن أحمد بن عبد الله الهاشمي من ولد العباس قال: «حضرت دار أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام بسرّ من رأى، يوم توفي وأُخرجت جنازته ووضعت، ونحن تسعة وثلاثون رجلاً قعود ننتظر، حتّى خرج إلينا غلام عشاري (أي له طول عشرة أشبار)، حافٍ، عليه رداء قد تقنّع به. فلمّا أن خرج، قمنا هيبّةً له، من غير أن نعرفه، فتقدّم، وقام الناس فاصطَفَوْا خلفه، فصلّى عليه ومشى، فدخل بيتاً غير الذي خرج منه»⁽²⁾.

(1) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص476.

(2) الغيبة، الشيخ الطوسي، ص258.

• الغيتان الصغرى والكبرى

عند شهادة الإمام الحسن العسكري عليه السلام سنة 260هـ كان عمر الإمام المهدي عليه السلام خمس سنوات. ولعل استغراب بعضهم من تسلّمه عليه السلام الإمامة على الرغم من صغر السن يعود إلى عدم الالتفات إلى الإرادة الإلهية التي تقدّر ما تشاء، فهي الإرادة التي جعلت النبي عيسى ابن مريم عليه السلام يكلم الناس في المهد، وهي التي أعطت القدرة لإمامنا المهدي عليه السلام ليكون معصوماً وقادراً على تسلّم مهام الإمامة. فلا حاجة إلى الإطناب في الاستدلالات العديدة؛ لأنّه أمرٌ تفصيلي مرتبط بالإيمان بما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام؛ ما يجعلنا نؤمن ونسلّم بحقيقة إمامنا الثاني عشر، ولادةً، وإمامةً، وغيبةً، وظهوراً بعد عمر طويل.

كان الإمام المهدي عليه السلام ملاحقاً من السلطات العباسية بهدف قتله، فاختفى عن الأنظار مجدداً بعد صلاته على أبيه، وعيّن وكلاء له يتواصلون مع المؤمنين، ويوجهونهم، ويتلقّون أسئلتهم ورسائلهم وحقوقهم الشرعية، ثم يجيبونهم بما يجيبهم به الإمام المهدي عليه السلام. وقد أُطلقت تسمية السفراء على الوكلاء الدائمين المعروفين بأنهم ينوبون عن الإمام عليه السلام في كلّ الشؤون العامة للمؤمنين، حيث كان يعيّن الإمام سفيراً واحداً يستخلفه بغيره عند موته، فبلغ عددهم أربعة:

الأول: أبو عمرو، عثمان بن سعيد العمري، ويقال له السّمان؛ لأنّه كان يتاجر بالسمن.

الثاني: ولده، أبو جعفر، محمّد بن عثمان بن سعيد العمريّ.

الثالث: أبو القاسم، الحسين بن روح النوبختيّ.

الرابع: أبو الحسن، عليّ بن محمّد السمرّيّ.

وبعد وفاة السفير الرابع أبي الحسن السمرّيّ، لم يعيّن الإمام عليه السلام سفيراً جديداً، وهذا ما كان واضحاً من الكتاب الموقّع منه عليه السلام للسمرّيّ، فقد روي عن أحمد المکتب أنّه قال: «كنتُ بمدينة السلام في السنة التي توفّي فيها الشيخ عليّ بن محمّد السمرّيّ قدّس الله روحه، فحضرته قبل وفاته بأيّام، فأخرج إلى الناس توقيعاً نسخته: «بسم الله الرحمن الرحيم، يا عليّ بن محمّد السمرّيّ، أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنّك ميّتٌ ما بينك وبين ستّة أيّام، فاجمع أمرك، ولا توصِ إلى أحدٍ يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة الثانية، فلا ظهور إلّا بعد إذن الله عزّ وجلّ، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي من شيعتي من يدّعي المشاهدة، ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة فهو كاذبٌ مفتر، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم». قال: فنسخنا هذا التوقيع، وخرجنا من عنده، فلمّا كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يجود بنفسه، فقليل له: مَنْ وصيّك من بعدك؟ فقال: لله أمرٌ هو بالغه. ومضى رضي الله عنه، فهذا آخر كلامٍ سُمع منه»⁽¹⁾.

توفّي السفير الرابع سنة 329هـ بحيث يكون مجموع ما مضى منذ إمامة المهديّ عليه السلام سنة 260هـ إلى حين وفاته 69 سنة، تناوب

(1) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص516.

خلالها أربعة سفراء، وقد سُمّيت هذه الفترة بالغيبة؛ لأنَّ الإمام غاب عن التواصل المباشر مع الناس، وهي الصغرى إذا ما قارنَّاها بما بعدها من حيث عدد السنوات، وبما تميَّزت به من وجود السفراء، فهي الغيبة الأولى، أو الغيبة الصغرى.

بدأت الغيبة الثانية أو الكبرى، من سنة 329هـ مع بقاء الإمام على قيد الحياة، من دون أن يُحدَّد سفيراً جديداً للتواصل مع الناس، وانقطع بشكل عام عن عامَّة المؤمنين، وهو لا يزال حياً إلى يومنا هذا، ونحن ننتظر ظهوره وانتهاء غيبته عنَّا ﷺ.

لماذا الغيبة الكبرى عن الناس للإمام المهديّ ﷺ؟ وهل لها مسوِّغات عقلية أم تعبدية؟ وهل من حكمة في عدم التدخُّل الإلهيِّ لفرض إرادته بنصرة الإمام ﷺ من دون هذه الغيبة الطويلة؟ وهل الخوف على الحياة من الأعداء مسوِّغٌ كافٍ لهذه الغيبة؟

سُئِلَ الشيخ المفيد (رضوان الله عليه)، وهو من كبار علمائنا ممَّن عاشوا في القرن الرابع الهجريِّ (ت 413هـ)، بما يلي: «إذا كان السبب في الغيبة التي طالت مدَّتْها، وامتدَّت بها الأيام هو كثرة الأعداء، والخوف على نفسه منهم، فقد كان الزمن الأوَّل على الأئمَّة من آبائهم أصعب، وكان أعداؤهم أكثر، والخوف على أنفسهم أشدَّ وأكثر، ومع ذلك فإنَّهم كانوا ظاهرين، ولم يستتروا، ولا غابوا عن شيعتهم، حتَّى اتَّاهم اليقين، فهذا يُبطل هذه العلَّة في الغيبة. فأجاب الشيخ باختلاف الحاليتين: حالة صاحب الزمان ﷺ، وحالة الأئمَّة من آبائهم ﷺ.

يظهر من أحوال الأئمَّة الماضين ﷺ، أنَّهم أُبيحت لهم التقية من الأعداء، ولم يكفؤوا بالقيام بالسيف مع الظهور؛ لعدم وجود مصلحة في ذلك، ولم يكونوا ملزمين بالدعوة، بل كانت المصلحة تقتضي الحضور في مجالس الأعداء، ومخالطتهم، ولهذا أذاعوا تحريم إشهار السيوف عليهم، وحظر الدعوة إليها، لئلا يزاحم الأعداء

ظهورهم وحضورهم بين الناس. وقد أشاروا إلى مجيء منتظر يكون في آخر الزمان، إمام منهم، يكشف الله به العُمة، ويحيي به السُنّة، يهدي به الأُمة، لا تسعه التقيّة عند ظهوره. وقد ذكر الشيخ المفيد في هذا المورد عدّة من علامات الظهور، ثمّ قال: فلمّا ظهر ذلك من السلف من آباء صاحب الزمان عليه السلام، وتحقّق عند سلطان كلّ زمان، وملك كلّ أوان، علموا من الأُمة الماضين عليهم السلام أنّهم لا يتديّنون بالقيام بالسيف، ولا يرون الدعاء إلى أنفسهم، وأنهم ملتزمون بالتقيّة، وكفّ اليد، وحفظ اللسان، والتوقّر على العبادات، والانقطاع إلى الله بالأعمال الصالحات؛ لمّا عرف الظالمون من الأُمة هذه الحالات، أمنوهم على أنفسهم، مطمئنّين بذلك إلى ما يدبرونه من شؤون أنفسهم، ويحقّقونه من دياناتهم، وكفّهم ذلك عن الظهور والانتشار، واستغنوا به عن الغيبة والاستتار. لكنّ إمام هذا الزمان عليه السلام لمّا كان هو المشار إليه بسلّ السيف، والجهاد لأعدائه، وأنّه هو المهديّ الذي يُظهر الله به الحقّ، ويبيد بسيفه الضلال كان الأعداء يترصّدونه، ويبغون قتله، ويطلبون قتله وسفك دمه.

وحيث لم يكن أنصاره متهيّئين إلى وقت ظهوره، لزمته التقيّة، وفُرضت عليه الغيبة؛ إذ لو ظهر بغير أعوان لألقى نفسه بيده إلى التهلكة، ولو أظهر نفسه في غير وقته لم يأل الأعداء جهداً في استئصاله وجميع شيعته وإراقة دمائهم على الاستحلال.

ولمّا ثبتت عصمته بأدلتها وجب استتاره من أعدائه، حتّى يعلم يقيناً لا شكّ فيه حضور الأعوان، واجتماع الأنصار، وتكون

المصلحة العامة في ظهوره بالسيف. فافتقرت حاله عن حال آبائه الأئمة عليهم السلام.

ثم إنَّ الشيخ المفيد عارض الخصوم ببيان أحوال النبي صلى الله عليه وآله وسيرته الشريفة، حيث أقام في مكّة ثلاث عشرة سنة، لا يرى سلَّ السيف ولا الجهاد، وتصبّر على التكذيب، وصنوف الأذى، وتعذيب أصحابه بأنواع العذاب، وكان المسلمون يسألونه الإذن لهم في سلَّ السيف ومباينة الأعداء، فيمنعهم ويأمرهم بالصبر، ولم يزل كذلك حتّى طلب من النجاشيّ ملك الحبشة أن يخفر أصحابه من قريش، ثمَّ أخرجهم إليه، واستتر صائناً دمه في شعب أبي طالب، ثلاث سنين، ثمَّ خرج من مكّة بعد موت عمّه أبي طالب مستخفياً، وأقام في الغار ثلاثة أيّام، ثمَّ هاجر إلى المدينة. وهناك رأى القيام بالسيف، واستنفر أصحابه، وهم يومئذ ثلاثمئة وبضعة عشر رجلاً، ولقي بهم ألف رجل من أهل بدر، ورفع التقيّة عن نفسه، إذ ذلك.

وسرد الشيخ (المفيد) حوادث عديدة من السيرة الشريفة، ثمَّ قال: فلمَ لم يقاتل في مكّة؟ وما له صبر على الأذى؟ ولمَ منع أصحابه من الجهاد وقد بذلوا أنفسهم في نصرّة الإسلام؟ وما الذي اضطرّه إلى الاستجارة بالنجاشيّ؟ لمَ وما الذي دعاه إلى القتال بأصحابه مع قلّة عددهم وتثاقل بعضهم؟ وما وجه اختلاف أحواله وأعماله في هذه المواضع؟ فما كان في ذلك جوابكم فهو جوابنا في الفرق بين الأئمة عليهم السلام وبين صاحب الزمان عجل الله فرجه في الظهور والغيبة. والوجه عندنا واضح، وهو التعبد في كلّ الأحوال بما أمرهم

الله تعالى، وما قرّره عليهم من العمل والسيرة، طبقاً للمصالح التي هي لعامة الخلق، والمعصومون عليهم السلام عباده المكرمون ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ (الأنبياء: 27) ⁽¹⁾.

يتحصّل لدينا في النتيجة:

أولاً: إنّ الغيبة إرادة إلهية، وتكليف خاص بالإمام المهدي عليه السلام، ولكل إمام من الأئمة عليهم السلام تكليفه، فمنهم من كان تكليفه الصبر ثمّ التصدي للحكم، كما حصل مع الإمام علي عليه السلام الذي أبعد عن الخلافة خمساً وعشرين سنة، ثمّ تصدّى لها في لحظة الإنقاذ لمسار الرسالة والدولة؛ ومنهم من كان تكليفه الصلح، كما حصل للإمام الحسن عليه السلام مع معاوية لحفظ الأمة؛ ومنهم من كان تكليفه القتال لحماية استقامة الدين والإصلاح في الأمة، كما حصل مع الإمام الحسين عليه السلام في مواجهة يزيد، وهكذا. فالغيبة تكليف الإمام المهدي عليه السلام، وإرادة الله تعالى في إطالة عمره لدوره المنتظر في إقامة العدل الإلهي على الأرض.

ثانياً: إن ترك الأمور لتأخذ مداها في معاناة الأنبياء والأئمة عليهم السلام، وعدم التدخل الإلهي إلا في محطات محدّدة في التاريخ، كالمعجزات التي حصلت مع الأنبياء لإنقاذهم، مثل إبراهيم عليه السلام مع النمرود، والطوفان مع قوم نوح عليهم السلام، وما حصل ليلة مبيت أمير المؤمنين علي عليه السلام مكان النبي

(1) رسائل في الغيبة، الشيخ المفيد، ج3، ص 6 - 3.

محمّد ﷺ، ثمّ ما حصل في غار حراء عند نسج العنكبوت، إنّما يدلّ على القوانين التي رسمها الله تعالى للبشر في أن يترك لهم حرّيّة الاختيار، والاستقامة أو الانحراف، بحسب ما أودع من إمكانيات لدى البشر، ليكون التدخّل الإلهيّ جزءاً من هذه القوانين. لذا، فإنّ مدى الغيبة الطويلة جزء من سريان هذه القوانين الإلهيّة في حرّيّة اختيار البشر، والتدخّل في محطّة محدّدة من تاريخ البشريّة.

ثالثاً: تهيئة أسباب الانتصار بتوفير العدد المهيّأ على المستوى القياديّ، وهو ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً بعدد المسلمين في بدر، وكذلك توفير مقوّمات استخدام العدّة الملائمة في زمان الظهور لتحقيق الانتصار؛ بتوفير القوّة لصاحب العصر والزمان ﷺ التي يحتاج إليها لتحقيق هذا الإنجاز التاريخيّ العظيم على مستوى البشريّة جمعاء.

رابعاً: علينا أن لا نتعلّق بالنصر فيضيق صدرنا عن الانتظار، بل نقوم بتكليفنا في الثبات على الحقّ والانتظار مهما طال الزمن، بما يشكّل الانتظار من التزام بواجبنا في أن نعمل في سبيل الله تعالى، سواء وُفقنا بإمتاع أنظارنا برؤية الإمام ﷺ في حياتنا أو لم نُوفّق بالانقياد تحت لوائه في حياتنا. فمسار الإسلام يشكّل جزءاً من أجزاء هذه المسيرة الإلهيّة، حيث لا ترتبط أهميتها بمرحلة دون أخرى بالنسبة إلى كل فردٍ منّا، بل المهمّ أن نثبت على الإيمان والولاية.

ففي إجابة السائل: فَإِنْ مِتُّ قَبْلَ أَنْ أَدْرِكَ الْقَائِمَ ﷺ؟
 قال الإمام الباقر عليه السلام: «القائل منكم: إن أدركت القائم من
 آل محمّد نصرته، كالمقارع معه بسيفه، والشهيد معه له
 شهادتان»⁽¹⁾.

(1) المحاسن، البرقي، ج1، ص173.

الدنيا مسرح العمل، ومزرعة الآخرة، منها ينطلق الإنسان إلى مصيره، وفيها يهيئ لمستقبله، ومع أنها متاع زائل، إلا أنها مطلوبة للعمل الصالح فيها، فهي مذمومة بفسادها ورذائلها، لكنها مقبولة بصالحها وفضائلها. وقد حثَّ الإسلام على الاهتمام بالنصر والفوز وإطالة العمر في الدنيا على قاعدة الطاعة لله تعالى، فعن الإمام عليٍّ عليه السلام أنه قال: «لما كان يوم خيبر بارزتُ مرحباً، فقلتُ ما كان رسول الله ﷺ علّمني أن أقوله: «اللهم انصرني ولا تنصر عليّ، اللهم اغلب لي ولا تغلب عليّ، اللهم توّلني ولا توّل عليّ، اللهم اجعلني لك ذاكرًا، لك راهبًا، لك مطيعًا، أقتل أعداءك. فقتلتُ مرحباً يومئذ»⁽¹⁾.

وفي دعاء مكارم الأخلاق للإمام زين العابدين عليه السلام: «وعمرني ما كان عمري بذلةً في طاعتك، فإذا كان عمري مرتعاً للشيطان فاقبضني إليك قبل أن يسبق مقتك إليّ، أو يستحكم غضبك عليّ»⁽²⁾. وفي الدعاء في كلّ ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك، عن أبي عبد الله عليه السلام: «واجعل في ما تقضي وتقدر، أن تُطيل عمري في طاعتك، وتوسع عليّ رزقي، وتؤدّي عني أمانتي ودّيني، آمين رب العالمين»⁽³⁾.

(1) مستدرک الوسائل، الميرزا النوري، ج 11، ص 109.

(2) الصحيفة السجّادية، الدعاء 20.

(3) إقبال الأعمال، السيّد ابن طاووس، ج 1، ص 79.

• النصر على الأعداء منية المؤمنين

لا يكون الحُتُّ على مكاسب الدنيا منفصلاً عن قضاء الله تعالى وقدره في تيسير أمور المؤمنين، وتحقيق رغباتهم وأهدافهم، وهي أهداف الإسلام، خاصةً في ما يتعلّق بإقامة الدين وتحقيق النصر على الأعداء. ولا يعني أن يكون نصرهم وحكمهم دائماً ومستمراً، أو محكوماً بالتدخل الإلهي في كلّ آن، بل مؤداه تحقيق هذا الهدف في محطات معيّنة من تاريخ البشرية عند توافر بعض المقدمات اللازمة لذلك، وإلا فقدت هذه التوجيهات الدنيوية معناها إذا لم تكن قابلة للتحقيق، وتحوّلت إلى وهم مضللّ ومحبط للهمم والعزائم. وما حصل في التاريخ من حكم سليمان وذي القرنين، وإقامة نبينا محمد ﷺ لدولة الإسلام في المدينة المنورة وسط الجاهلية العمياء في شبه الجزيرة العربية، وما أنجزه الله تعالى على يد الإمام الخميني قدس سره في إقامة دولة الإسلام في إيران، وما في التاريخ من محطات مهمّة في نصرّة أصحاب الحقّ، يؤكّد على حقيقة الوعد الإلهي: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم: 47)، وعلى دور الثلّة المؤمنة في قيادة العدل على مستوى بلدانهم وعلى مستوى البشرية جمعاء، شرط توفّر بعض المقدمات الضرورية لذلك، وهي مسؤوليتهم.

• الوعد الأكيد بنصر المؤمنين

بما أنّ تقلّبات الحياة كثيرة، وسطوة الباطل بارزة في أغلب حياة البشرية، وقوّة الظلم والفساد تُشعر في بعض الأحيان بانسداد أفق

التغيير ونصر المؤمنين، كان لا بدَّ من طمأنة المؤمنين بجدوى حركتهم وجهادهم وصبرهم عبر الأجيال بوعْدٍ قطعيٍّ في مستقبل الزمان بانتصار الحقِّ على الباطل، وإقامة الدولة الإسلاميَّة العالميَّة؛ ما يجعل الحافز العمليَّ في الدنيا أقوى، والأمل بالنصر واقعياً، مهما كانت الظروف معقَّدة، ومهما ازدادت سلطة المفسدين والكفرة والظلمة.

وهنا يكتسب الوعد بالاستخلاف في الأرض أهميَّته، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور: 55). فهو الوعد الأكيد بنصر المؤمنين على الأرض قبل مكافأة الآخرة، وهو الوعد بسيادة الحقِّ والعدل على الأرض باليد البشريَّة وفي حياة الناس الدنيويَّة، وهو منسجم مع الاهتمام بالدنيا كمزرعة للآخرة، ومع العمل فيها للسموِّ من خلالها، فنصيب الإنسان في الدنيا لا يعطلُّ سعيه لآخرته، بل هو جزء منها: ﴿وَأَتَّبِعْ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (القصص: 77).

• المهديُّ ﷺ مُحَقِّقُ وعد الله

يتحقَّق هذا الاستخلاف بأبهى صورة له على يد القائم المهديِّ ﷺ، فعن النبيِّ محمدٍ ﷺ: «ويح هذه الأمة من ملوكٍ جبابرة، كيف يقتلون ويخيفون المطيعين إلَّا من أظهر طاعتهم، فالموءمن التقيُّ يصانعهم بلسانه، ويفرُّ منهم بقلبه. فإذا أراد الله عزَّ وجلَّ أن يُعيد الإسلام عزيزاً، قصَمَ كلَّ جبار، وهو القادر على ما يشاء، أن يصلح أمة

بعد فسادها. ثم قال: يا حذيفة، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يملك رجل من أهل بيتي، تجري الملاحم على يديه، ويظهر الإسلام، لا يخلف وعده، وهو سريع الحساب»⁽¹⁾.

إنّهُ الوعد الإلهي على الرغم من الصعوبات والمآسي والظلم، قال رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ (النور: 55). فقال جندب: يا رسول الله، فما خوفهم؟ قال: يا جندب، في زمن كل واحدٍ منهم سلطان يعتريه ويؤذيه، فإذا عجّل الله خروج قائمنا، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، ثم قال: «طوبى للصابرين في غيبته، طوبى للمتقين على محبتهم، أولئك وصفهم الله في كتابه وقال: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ (البقرة: 3)، وقال: ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة: 22)⁽²⁾.

فلنعمرّ دنيانا بالطاعة، ولنأمل بنصر الله وعطائه، ولنصبر على امتحانه وبلائه، وليكن مبتغانا تحقيق رضوان الله تعالى بالفوز في الآخرة، فتأتي الدنيا في أوانها بالثبات والعمل الصالح. وفي كل الأحوال لا ننسَ أنّها متاع زائل، فلو لم نحصل منها على ما نريد، فزرعنا يساعدنا في آخرتنا، ويحقّق للأمة ما نريد، ويبقى الانتظار العظيم للاستخلاف الكبير بإقامة دولة الإمام المهديّ ﷺ هو الأمل الصادق.

(1) كشف الغمّة في معرفة الأئمة، ابن أبي الفتح الأربلي، ج3، ص272.

(2) كفاية الأثر، الخزّاز القميّ، ص60.

شَرَعَ الله الدين ليسير الناس على نهجه، فيقيمونه في حياتهم الخاصة والعامة، ويُحاسب الناس يوم القيامة على سعيهم لإقامة الدين بصرف النظر عن نجاحهم أو فشلهم في بلدانهم. وأمرهم أن يوحدوا جهودهم لتشكيل القوة المناسبة لحماية هذا المشروع الإلهي الكبير. عندها سيشعر المشركون بالمرارة، وسيواجهون مشروع إقامة الدين بكل أشكال المواجهة. ولكنَّ النعمة الكبرى لمن يُوفَّق فيحمل هذا الدين ويدافع عنه، وبذلك يكون ممن اجتباهم الله تعالى وهداهم إلى طريقه؛ قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (الشورى: 13).

• الصراع بين الحق والباطل

ليس خافياً على أحد أنَّ الصراع بين الحق والباطل مريّر وطويل، وفي كلِّ زمان ومكان، وأنَّ إقامة الدين أمرٌ غير يسير في كثير من المحطّات التاريخية. ولعلَّنا بالاستقراء التاريخي نلمس، بشكل واضح، سيطرة الكفار على مقاليد الأمور، ومنعهم إحياء تعاليم السماء وإقامتها في حياة البشر. ولا نستغرب هذه النتيجة التي أخبرنا الله تعالى عنها عندما تحدّث عن الكثرة الطاغية في مقابل

القلة الشاكرة، ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (يوسف: 103). فالامتحان الدنيوي يتطلب جهداً وكدحاً لمواجهة حائل الشيطان والانتصار عليه، وهذا ما يفشل فيه أغلب البشر، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (النمل: 73).

ومع هذا كله، فالخيار بأيدينا، ولا يحق لأحد أن ينأى عن تحمّل المسؤولية بحجة انتشار الكفر وتأثير زينة الدنيا على الناس. فالدنيا دار بلاء واختبار، والإنسان مهياً بفطرته للاختبار، وهو مسؤول عن نتيجته، ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۚ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (الشمس: 7 - 10).

لكن الله جلّ وعلا حاسمٌ في إقامة الدين وسيادة العدل على هذه الأرض؛ قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: 32 - 33). هذا بلاغٌ إلهي واضحٌ بأن يسود الدين الكرة الأرضية بأسرها في نهاية الزمان على يد الإمام المهدي عليه السلام. ولم يحصل أن أظهر الله تعالى الدين على كل الأرض بعد رسالة الإسلام. وقد دلّت آيات وروايات كثيرة على أنّ إظهار الدين بلا منازع، وإقامة الدين من دون التباس، وتحقيق شريعة الله تعالى على الأرض بقيادة المعصوم الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، إنّما يكون على يد قائم آل محمد عليه السلام.

فلنعمل بتكليفنا لإقامة الدين ولو واجهتنا الصعوبات، ولنصبر

على مرارات الانحراف والكفر والظلم والطغيان، ولنأمل أن يعجل الله فرج مولانا صاحب الزمان (أرواحنا لتراب مقدمه الفداء)، ولنكن مطمئنين بأننا نسير باتجاه نهاية قدرة الظالمين لمصلحة سيادة المؤمنين، وإنَّ مع العسر يسراً، ومع الضيق الفرج والمخرج.

• القائم المهدي ﷺ

لقد وردت روايات كثيرة تصف الإمام المهدي ﷺ بالقائم. وهذه الصفة تعبير عن القيام والعزم على الشيء والفعل؛ أي إنَّ السَّمة البارزة في الإمام المهدي ﷺ هي قيامه وسعيه وحركته التي لا تهدأ.

عن الأصبغ بن نباتة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عُرِج بي إلى السماء السابعة، ومنها إلى سدرة المنتهى، ومنها إلى حُجُب النور، ناداني ربِّي تعالى: يا محمد، أنت عبادي وأنا ربُّك، فلي فاضع، وإيَّاي فاعبد، وعليَّ فتوكَّل، وبني فثق، فإنِّي رضيتُ بك عبداً وحبیباً ورسولاً ونبيّاً، وبأخيك عليّ خليفةً وباباً، فهو حجتِي على عبادي، وإمامٌ لخليقي، به يُعرف أوليائي من أعدائي، وبه يميز حزب الشيطان من حزبي، وبه يُقام ديني، وتُنْفَذ أحكامي، وبك وبه وبالأئمة من ولده أرحم عبادي وإمائي، وبالقائم منكم أعمر أرضي بتسبيحي وتهليلي وتقديسي وتكبيرِي وتمجيدِي، وبه أُطهر الأرض من أعدائي وأورثها أوليائي، وبه أجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمتي العليا، وبه أُحيي عبادي وبلادي بعلمي، وله أُظهر الكنوز والذخائر بمشيئتي، وإيَّاه أُظهر على الإسرار والضمائر بإرادتي،

وأمدّه بملائكتي لتؤيّدَه على إنفاذ أمري وإعلان ديني، ذاك وليّتي حقّاً، ومهديّ عبادي صدقاً»⁽¹⁾.

نعم، لقد سُمّي المهديّ ﷺ بالقائم؛ لأنّه يقوم بالحقّ، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «وإنّما سُمّي القائم مهديّاً؛ لأنّه يهدي إلى أمرٍ قد ضلّوا عنه، وسُمّي بالقائم لقيامه بالحقّ»⁽²⁾.

إنّ القيام والحركة مطلوبان من كلّ الأمة كما من قائدها، ولا يمكن التعبير عن الإيمان إلّا بالعمل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن أراد التزاماً حقيقياً بشريعة الله المقدّسة، عليه أن يسعى ويجاهد ليقم الدين في حياته وفي الأمة. فالدين لا يقتصر على العبادات وأخلاقيّات التعامل مع الآخرين، بل يمتدّ إلى تحكيم الشريعة في حياة الناس، وهذا ما يتطلّب قياماً لا قعوداً، وحركة لا سكوناً، وجهاداً لا خنوعاً، وموقفاً لا صمتاً؛ وتعبير مختصر: إنّ القيام الذي يحمل كلّ الأبعاد، وهذا ما عبّر عنه القرآن الكريم: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (الشورى: 13). وقال تعالى واصفاً الأمة القائمة بالتي تتعبّد بالصلاة وتلاوة القرآن من منطلق الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، وفي الوقت نفسه تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتسارع إلى الخيرات: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران: 113 - 114).

(1) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص 731.

(2) الإرشاد، الشيخ المفيد، ج 2، ص 383.

• إنجازات القيام

علينا أن نقتدي بالقائم المهدي عليه السلام في حركته وأهدافه في زمن الغيبة بانتظار الظهور؛ لنكون في غيبته الكبرى عاملين مجاهدين، كما نكون إن شاء الله في حضوره بين يديه لرفع كلمة الحق. ومن المهم أن نلتفت إلى المعاني التي رسّختها روايات الظهور عندما وصفت إنجازات الإمام عليه السلام كمرادف للقيام، نذكر بعضاً منها:

الأول: يحيي الأرض، ويظهر الدين: عن الإمام الحسين عليه السلام: «منا اثنا عشر مهدياً؛ أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وآخرهم التاسع من ولدي، وهو الإمام القائم بالحق، يحيي الله به الأرض بعد موتها، ويظهر به دين الحق على الدين كله ولو كره المشركون، له غيبة يرتد فيها أقوام ويثبت فيها على الدين آخرون، فيؤذون، ويقال لهم: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾» (يونس: 48)، أما إن الصابر في غيبته على الأذى والتكذيب بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله» ⁽¹⁾.

ويلاحظ في الرواية، أن الإمام قائم بالحق، ومن نتائج قيامه إحياء الأرض بالطاعة بعد موتها بالمعصية، ونزول الخيرات من السماء، وإظهار الدين بسيادته وانتصاره على الدين كله، وهذا ما يتم بالجهاد والتضحية، وبنصرة أنصاره الذين تحمّلوا الأذى في غيبته، لكنهم ثابروا على منهجية القيام والجهاد.

(1) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص 317.

الثاني: يفتح الله الأرض على يديه: عن رسول الله ﷺ مخاطباً علياً عليه السلام: «الأئمة بعدي اثنا عشر، أولهم أنت يا علي، وآخرهم القائم، الذي يفتح الله عز وجل على يديه مشارق الأرض ومغاربها»⁽¹⁾.

وبهذا الفتح، تتحطم الحواجز الدولية الظالمة والكافرة، ويتحرر المؤمنون من الحصار والخوف والقتل، ويستمتع العالم لنداء الحق، ويأمن المؤمنون على دينهم وأعراضهم وأرزاقهم.

الثالث: يبسط العدل: العدل حلم البشرية، وهو لا يتحقق مع النزعة المادية الموجودة عند المستكبرين والمتسلطين على العالم، وكم عانى الناس خلال الحقبات الزمنية المختلفة؟! لكن، يبقى الأمل المنتظر من القائم بالحق، الذي يقيم العدل على الأرض، كما وعدنا الله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص: 5).

وفي الرواية عن أمير المؤمنين علي عليه السلام مخاطباً الإمام الحسين عليه السلام: «التاسع من ولدك يا حسين هو القائم بالحق، المظهر للدين، والباسط للعدل»⁽²⁾.

لا يتم إظهار الدين، وإحياء الأرض، وبسط العدل، وأداء دور الخلافة الإنسانية الأصيلة على الأرض كما أمر الله تعالى، إلا بالقيام والحركة، فإلى أولئك الذين ينتظرون بإحباط ولا يتحركون: إنكم

(1) الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ص282.

(2) المصدر نفسه، ص304.

تخسرون إن أقمتهم على سكوتكم، فتحرّكوا وقوموا بكلّ جهد وجهاد وتضحية لإقامة الدين في حياتكم؛ لتكونوا مع القائم المهديّ ﷺ.

• لا يثبت إلّا المخلصون

إنّه قائمٌ بالحقّ، فَمَنْ أراد أن يكون معه، فليبايعه بسرعةٍ ولو حبواً على الثلج؛ أمّا منهج مخالفه فهو بجانب للحقّ، فعن رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتّى يقوم قائمٌ للحقّ منّا، وذلك حين يأذن الله عزّ وجلّ له، فَمَنْ تبعه نجا، ومَنْ تخلف عنه هلك. الله الله عباده الله، فأتوه ولو حبواً على الثلج، فإنّه خليفة الله عزّ وجلّ وخليفتي»⁽¹⁾.

يثبت معه المخلصون، مُظهرًا للدين، وباسطاً للعدل، والشاهد في تنمة رواية أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «التاسع من ولدك يا حسين، هو القائم بالحقّ، المظهر للدين، والباسط للعدل. قال الحسين عليه السلام: فقلت له: يا أمير المؤمنين، وإنّ ذلك لكائن؟

فقال عليّ عليه السلام: إي والذي بعث محمداً ﷺ بالنبوة، واصطفاه على جميع البرية، ولكن بعد غيبةٍ وحيرة، فلا يثبت فيها على دينه إلّا المخلصون، المباشرون لروح اليقين، الذين أخذ الله عزّ وجلّ ميثاقهم بولايتنا، وكتب في قلوبهم الإيمان، وأيدّهم بروحٍ منه»⁽²⁾.

(1) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج1، ص65.

(2) الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ص304.



رَكَزَتِ الرِّسَالَاتِ السَّمَاوِيَّةَ الثَّلَاثَةَ: الْيَهُودِيَّةَ، وَالنَّصْرَانِيَّةَ، وَالْإِسْلَامَ، عَلَى وَجُودِ الْمَخْلُصِّ وَالْمُنْقَذِ، الَّذِي يَظْهَرُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ لِيَعْمَمَ الْعَدْلُ وَيَقُودَ الْبَشَرَ، مُسْتَنْدَاً إِلَى الْمُؤْمِنِينَ بِهِ، لِيَمُدَّ سُلْطَتَهُ عَلَى الْمَعْمُورَةِ كَافَّةً.

وسيعالج بحثنا مسألة المخلص من وجهة نظر الإسلام؛ إذ إنها تشكل النظرة الأشمل والأكمل والأكثر دقة وواقعية.

لقد خلق الله تعالى الإنسان مخيراً، قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾ (الإنسان: 3)، وهذا ما يؤدّي، بشكل طبيعي، إلى أن يؤمن بعض الناس، ويكفر آخرون، ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (الكهف: 29). ولا بدّ أن يتعرض الإنسان لما يشجّعه ويرغبه في سلوك طريق الإيمان، كإرسال الأنبياء والرسول؛ ليرشده إلى طريق الهداية، ويبينوا له محاسن الاستقامة وفضائلها وخيراتها، ويبشّروه بالجنة، وينذروه بالنار نتيجة أعماله في هذه الحياة الدنيا. فلا مناص من الحساب على ما قام به من عمل في حياته التي عاشها بإرادة الله تعالى، من حيث مكانها وتوقيتها، بدايةً ونهايةً. كما يتعرّض لما يغريه ويغويه ويجذبه إلى الانحراف، بتزيين الباطل، ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْثِ ذَلِكَ مَتْنَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ

عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿آل عمران: 14﴾، بحيث يكون الشيطان وأعدائه رمزاً لسلوك طريق الكفر والانحراف.

ولكن، ما الذي يريده الله تعالى؟ إِنَّهُ يريد هدايتنا وسعادتنا، واستقامتنا في الدنيا، وفوزنا بجَنَّةِ الآخرة، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (النساء: 26)، في مقابل ما يريده الشيطان من ضررٍ للإنسان بحرفه عن الحق، وتضليله في حياته، وإيقاعه في الرذائل، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصَدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (المائدة: 91).

ومع أنَّ أكثر الناس لا يؤمنون، أراد الله تعالى الفوز للمجاهدين والصابرين وأصحاب العزم، انسجماً مع ما قَدَّرَ الله تعالى من طبيعة خلق الإنسان، ﴿الْمَرْءُ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الرعد: 1)؛ ووقَّع الله تعالى كلَّ عوامل إلقاء الحجة، كي لا يبقى أي عذرٍ لمعتذر، وهو ما تجسَّد بإرسال الهداة الميامين، في كلِّ زمان ومكان، بحيث لا تخلو الأرض من حجة، سواء أكان نبياً أم إماماً، ظاهراً أم مستوراً، فعن أبي عبد الله عليه السلام، عن آبائه، عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أَنَّهُ قَالَ فِي خُطْبَةٍ لَهُ عَلَى مِنْبَرِ الْكُوفَةِ: «اللَّهُمَّ، إِنَّهُ لَا بَدَّ لَأَرْضِكَ مِنْ حُجَّةٍ لَكَ عَلَى خَلْقِكَ، يَهْدِيهِمْ إِلَى دِينِكَ، وَيَعْلَمُهُمْ عِلْمَكَ، لَنَلَّا تَبْطُلَ حُجَّتُكَ، وَلَا يَضِلَّ أَتْبَاعُ أَوْلِيَائِكَ بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ بِهِ، إِمَّا ظَاهِرٌ لَيْسَ بِالْمَطَاعِ، أَوْ مُتَكْتَمٌ مُتَرْقِبٌ، إِنْ غَابَ عَنِ النَّاسِ

شخصه في حال هدايتهم، فإنَّ علمه وآدابه في قلوب المؤمنين مثبتة، فهم بها عاملون»⁽¹⁾.

• وجه الحاجة إلى الهداة

إنَّ وجود الهداة في كلِّ الأزمنة ضرورة للاقتداء وتصويب المسار؛ إذ قد تلبس الأمور على الناس بسبب اختلاف القادة والزعماء وأصحاب الاتجاهات المختلفة، فيصعب التمييز بين الحقِّ والباطل، أمَّا مع التسليم للهداة، فإنَّ المرء يطمئنَّ، وتنكشف له كلُّ الحقائق، ويسلك طريق صلاحه في هذه الدنيا؛ فعن بريد بن معاوية العجلي، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما معنى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (الرعد: الآية 7)، قال عليه السلام: «المنذر رسول الله ﷺ، وعلي عليه السلام الهادي، وفي كلِّ وقت وزمان إمامٌ ممَّنْ يهديهم إلى ما جاء به رسول الله ﷺ»⁽²⁾.

الحجَّة قائمة على البشر منذ آدم عليه السلام وإلى المهدي عليه السلام، وهي متحققة بالأنبياء والأئمة المعصومين عليهم السلام؛ كي لا يحصل أيُّ خلل في التبليغ أو التوجيه أو القيادة. وبهذا يكون تكليف الإنسان واضحاً وسليماً. والحجَّة مسؤوليَّة على عاتق الإنسان؛ إذ عليه تأدية حقِّها باتباعها، والالتزام بما تمليه عليه في حياته وأعماله. والحجَّة لا تترك عذراً لمعتذر، فهي تخاطب العقل بالدين والإقناع، والروح بتنميتها وتعزيز صلتها بالله تعالى، والسلوك بإرشاده وفق توجيهات الحلال والحرام. فهنئاً لمن استمع إلى دليل العقل بوجود حجَّة الله تعالى

(1) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص302.

(2) المصدر نفسه، ص667.

على العباد، والتزم بتعاليم الإسلام التي تنير طريقه في كل نواحيها، وآمن بما يدلُّه على أنَّ حجةَ هذا الزمان خلاصة الهداة المعصومين الإمام المهديّ (عليه السلام)، ثمَّ هنيئاً لمن تتبَّع أخباره، وعاهده على الالتزام بنهجه وتوجيهاته، وانتظر حضوره وظهوره في الأمة؛ ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

• أمانٌ لأهل الأرض

تمتاز الغيبة الكبرى للإمام المهديّ (عليه السلام) بوجود تواصلٍ فيها بين الإمام والناس بأساليب مختلفة، منها: حين يقرر اللقاء بأحدهم لمصلحة في ذلك، وعند حضوره في مواسم الحجّ... فهو كالشمس إذا غيّبها عن الأبصار السحاب، بحيث يبقى الانتفاع بها قائماً. وهذا ما ورد عن محمد بن عثمان العمريّ (عليه السلام) عندما وجَّه أسئلة أشكلت عليه إلى الإمام المهديّ (عليه السلام)، فجاءته الإجابة مكتوبة بخط الحجة (عليه السلام)، ومنها: «... وأما علّة ما وقع من الغيبة؛ فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُونَ عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ (المائدة: 101)، وإنَّه لم يكن أحدٌ من آبائي (عليه السلام) إلّا وقد وقعت في عنقه بيعةٌ لطاغية زمانه، وإنِّي أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحدٍ من الطواغيت في عنقي. وأما وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيّبتها عن الأبصار السحاب، وإنِّي لأمانٌ لأهل الأرض كما أنَّ النجوم أمانٌ لأهل السماء، فأغلقوا باب السؤال عمّا لا يعينكم، ولا تتكلّفوا علم ما قد كُفّيتم، وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج، فإنَّ ذلك فرجكم»⁽¹⁾.

(1) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص 485.

فالتأكيد هو على أهميّة التعامل مع حضوره في زمن الغيبة كحقيقة واقعة، ولا فائدة من إضاعة الوقت بالغرق في التفاصيل التي لا تنفعنا شيئاً. وبما أنّ حضوره هو النافع، وفرجه بظهوره هو المطلوب في نهاية المطاف، فلنكثر من الدعاء بتعجيل الفرج، ولنعمل لنكون من جنده تسهياً لتوفير العدد المناسب للظهور، ولنستفد من بركات غيبته المعنويّة والنفسيّة بملاحظة ما يوفّقنا الله تعالى إليه في شؤون الأمّة، خاصّةً عندما يتعلّق الأمر بمصيرها.

• حاضرٌ في مواسم الحجّ

تُرى ما أهميّة حضور الإمام المهديّ عليه السلام في مواسم الحجّ؟
أولاً: يراهم ولا يرونه: وردت روايات عدّة تتحدث عن حضور الإمام المهديّ عليه السلام مواسم الحجّ، حيث يرى الناس ولا يرونه، ويعرفهم ولا يعرفونه، منها:

- عن الإمام الصادق عليه السلام: «للقائم غيبتان، يشهد في إحدهما المواسم، يرى الناس ولا يرونه»⁽¹⁾.

- وعنه عليه السلام: «يفقد الناس إمامهم، يشهد المواسم، فيراهم ولا يرونه»⁽²⁾. وأكّد أحد سفراء الإمام المهديّ عليه السلام محمّد بن عثمان العمريّ عليه السلام ذلك بقوله: «والله، إنّ صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كلّ سنة، يرى الناس، ويعرفهم، ويرونه، ولا يعرفونه»⁽³⁾.

(1) الكافي، الشيخ الكليني، ج1، ص339.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص337.

(3) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج2، ص520.

نستنتج أنَّ بركات الحضور تنفع الناس بطرق مختلفة، وإلا لما كان لذكر الحضور في الموسم فائدة. وإن كنَّا لا ندرك مدى الفوائد التي تتحقَّق؛ لجهلنا بحقائق الأمور، لكننا مطمئنون إلى أنَّها حقيقة وواقعية بسبب البركات التي تحيط بإمامنا الغائب، وحرصه على تسديد المؤمنين ودعمهم.

ثانياً: أهميَّة الحجّ: لا تخفى أهميَّة الحجّ كعبادة مفروضة على المسلمين، قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة: 197). ففي الحجّ خير الزاد، وهو التقوى، من خلال المناسك التي تستحضر صور التضحية والسعي والطواف والصلاة، وهي تؤدِّي إلى مزيد من الارتباط بالله تعالى والإخلاص له. وهنا يكون حضور الإمام المهديّ ﷺ جزءاً من هذا التفاعل مع الإخلاص لله تعالى، لتكتمل الصورة في اجتماع المسلمين من كلِّ حدبٍ وصوب مع قيادتهم المستقبلية التي تملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

ثالثاً: المواكبة: إنَّ حضور الإمام المهديّ ﷺ في موسم الحجّ تعبير عن المواكبة لاجتماع المسلمين، ومزيد من الدعم لهذا المظهر التوحيديّ الكبير، وتشجيع على كلِّ ما يؤدي إلى تفاعلهم على اختلاف بلدانهم وألوانهم ولغاتهم وأجناسهم. عندما يشعر الحاجُّ بأنَّه يحج مع إمامه في وقت واحد يزداد اطمئناناً وراحة، فيُضاف إلى غذائه الروحيّ ببركات المشاهد الشريفة في مكة

المكرمة والمدينة المنورة، والمناسك المليئة بمضامين الإيمان، غذاءً روحي يربطه بالمعصوم، فيراكم التقوى بالمزيد، ويحصل من الحج على خيرات الإيمان المتنوعة.

إنَّ الحكمة من استمرار التواصل مع الإمام المهديّ ﷺ في غيبته الكبرى لا تخفى على أحد، حيث تبقى الصلة به موجودة، والإحساس بقربه منّا حاضراً دائماً في حياتنا، وتوقُّع ظهوره في أيّ وقت أملٌ محفّز للمزيد من العمل الصالح، والرغبة في لقائه دافعٌ للدعاء بتعجيل الفرج، وارتباط ظهوره بالنصر الأكيد والشامل شحنةٌ من الاطمئنان والرضا. إنَّه الإمام الحاضر الغائب غير المنقطع عن حياتنا وشؤوننا وشجوننا وآمالنا وآلامنا؛ والإمام الذي نعيش رعايته لنا وحرصه علينا، والإمام الذي يختصر تجربة الأنبياء والأئمّة في زخمها وقوتها بقربه منّا ليأخذ بأيدينا نحو الخلاص. فإذا حججت لعامك هذا، تذكّر بركات الإمام المهديّ ﷺ مضافاً إلى بركات الحجّ الأخرى. وإذا لم تحجّ تذكّر حضوره في اجتماع المسلمين ومصالحهم ورعاية شؤونهم.

سنعمل يا إمامنا إن شاء الله على أنك بيننا ومعنا وقائد مسيرتنا، ونسأله تعالى أن يعجل فرجك نصيراً للمؤمنين لتسود العدالة الأرض ومن عليها.



ميّزت الشيعة صفةً من صفات الله هي العدل، وعدّوها أصلاً من أصول الدين؛ لما للعدل من آثار في حياة الإنسان في دنياه وآخرته. فبالعدل يطمئن الإنسان إلى إنصافه، والحصول على حقوقه، وتوازن الحساب في يوم القيامة مع النعم الممنوحة له، والتكليف بحسب القدرة، والمكافأة على العمل الصالح، والعقاب على السيئات، وعدم التمييز على أساس العرق واللون والنسب، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ﴾ (الحجرات: 13).

• العدل سبيل السعادة

لقد برّزت الروايات عن النبي ﷺ وآله عليه السلام صفة العدل في أداء الإمام المهدي عليه السلام كصفة رئيسة، فهو الذي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً؛ لأنّ العدل حاجة بشرية ملحة على المستويين الخاصّ والعامّ، في حياة الأسرة والمجتمع، بين الرعية أنفسهم وفي ما بينهم وبين الحاكم، ف«العدل يضع الأمور مواضعها»⁽¹⁾، كما عن أمير المؤمنين علي عليه السلام.

وقد أمر الله تعالى بالعدل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النحل: 90)؛ إذ العدل سبيل السعادة البشرية، واستقامة الحياة.

(1) نهج البلاغة، الحكمة 437.

وعلى المتصدّي - في أيّ موقع كان - أن يحكم بالعدل، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (النساء: 58)، وإلا فالبديل هو الظلم والجور، الذي يؤدي إلى الفساد والعبثية والضياع والانحراف والطغيان، عندها تختلط الأمور، وتسوء الحياة الدنيا، ولا ينجو فيها إلا من آمن وعمل صالحاً، واتقى، وصبر على الابتلاء، وجاهد في سبيل الله، ولم يأسَ على ما فاته وخسره في هذه الدنيا، وهياً نفسه ليكون مع الصالحين من جند الإمام المهديّ ﷺ؛ ليحقق بقيادته العدالة الحقيقية على هذه الأرض، فقد وعدنا الله تعالى أن لا تخلو الأرض من حجة، وأن لا تختتم الحياة البشرية إلا بإقامة دولة العدل العالمية التي ترفع شعار الإسلام المحمّديّ الأصيل، وحكمه.

إنّ المؤمن حال انتظاره الفرج يكون مفعماً بالأمل والثقة بالظهور الشريف، وتعميم العدل على الأرض، ولا تعوقه العقبات والآلام والصعوبات، ويعمل دائماً ليتّرجم العدل في حياته الخاصة مع أسرته وأصدقائه وجيرانه ومن يتحمّل مسؤوليتهم؛ ليكون شريكاً فعلياً بسلوكه في الالتحاق بمسيرة العدل الكبرى على مستوى الأمة؛ إذ مهما كانت الظروف صعبة ومعقدة، فإنّ نهاية المطاف بانتصار العدل وانتشاره.

• العدل على يدَي القائم ﷺ

عن أبي سعيد الخدريّ، أنّ رسول الله ﷺ ذكر المهديّ ﷺ، فقال: «يخرج عند كثرة اختلاف الناس وزلازل، فيملؤها عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يرضى به ساكن السماء وساكن الأرض، ويقسم المال قسمة صحاحاً.

قال: قلت: وما صحاح؟

قال: بالسواء، ويغنم الناس حتّى لا يحتاج أحدٌ أحداً»⁽¹⁾.

وروي عن رسول الله ﷺ قوله لبضعته فاطمة عليها السلام في ليلة وفاته: «والذي بعثني بالحق، إنّ منهما (الحسن والحسين عليهما السلام) مهديّ هذه الأمّة؛ إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً، وتظاهرت الفتن، وتقطّعت السبل، وأغار بعضهم على بعض، فلا كبير يرحم صغيراً، ولا صغير يوقّر كبيراً، فيبعث الله عزّ وجلّ عند ذلك منهما من يفتح حصون الضلالة وقلوباً غلفاً، يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت به في أوّل الزمان، ويملاً الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً»⁽²⁾.

واعلم أخي المؤمن، أختي المؤمنة، أنّ «يوم العدل على الظالم أشدّ من يوم الجور على المظلوم»⁽³⁾، فإذا كنت تشعر بالضيّق والمعاناة بسبب ظلم الظالمين وجورهم، فهي مرحلة اختبار مؤقتة سرعان ما تنجلي بنصرة المؤمنين إذا صبروا وجاهدوا، وعندها ستضيق الأرض بما رحبت على أولئك الطغاة، وسيتلّمس المؤمنون نجاة تضحياتهم من خلال بركات العدل على يدي القائم عليه السلام أرواحنا لتراب مقدمه الفداء.

ولقد حدّثنا أمير المؤمنين عليه السلام عن أنصار الإمام المهديّ عليه السلام الذي يتّصفون بصفات الإسلام بأنّهم موعودون بصفات ثمانية من

(1) دلائل الإمامة، محمّد بن جرير الطبريّ (الشيوعي)، ص472.

(2) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج51، ص79.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص149.

الإمام الحجّة ﷺ لقوله: «أن لا أتخذ حاجباً، ولا ألبس إلا كما تلبسون، ولا أركب إلا كما تركبون، وأرضى بالقليل، وأملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وأعبد الله عزّ وجلّ حقّ عبادته، وأفي لكم وتفون لي»⁽¹⁾.

إنّه الحدث المميّز بنشر العدل، فهو النور الذي يبّد الظلام، وهو الخير الذي يمحّق الشرّ، وهو الميزان الذي ينصف الناس، وهو الظهور الذي يعمّ الفضيلة في الكون، فعن إمامنا الرضا عليه السلام: «وهو صاحب الغيبة قبل خروجه، فإذا خرج أشرقت الأرض بنوره، ووضع ميزان العدل بين الناس، فلا يظلم أحدٌ أحداً»⁽²⁾.

هنيئاً لمن سلك طريق العدل في إيمانه وسلوكه، ليكون جندياً في مسيرة العدل الإلهي بين يدي قائدها في آخر الزمان الإمام المهديّ ﷺ.

(1) عقد الدرر في أخبار المنتظر، المقدسيّ، ص96.
(2) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص372.

الفصل الثاني

الارتباط العملي بالإمام



• التكليف منسجم مع القدرة

كَلَّفَ الله تعالى الإنسان في هذه الدنيا بأوامره ونواهيه من خلال الإسلام بما ينسجم مع قدرته كما خلقه الله تعالى، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة: 286). وهذا ما يبرز بشكل واضح وجلي من خلال الفرائض؛ كالصلاة، والصوم، والحج، والزكاة، والخمس... إذ يستطيع الإنسان أدائها بكل يسر وهو قادر على الأكثر. وفي هذا ورد عن هشام بن سالم قال: سمعته (أي الصادق عليه السلام) يقول: «ما كَلَّفَ الله العباد فوق ما يطيقون، فذكر الفرائض، وقال: إنما كَلَّفهم صيام شهر من السنة، وهم يطيقون أكثر من ذلك»⁽¹⁾.

وهذا ما يوضحه أمير المؤمنين علي عليه السلام في تبيينه لما رسم الله تعالى للعباد؛ إذ يقول: «وإن الله سبحانه أمر عباده تخييراً، ونهاهم تحذيراً، وكَلَّفَ يسيراً ولم يكَلِّفَ عسيراً، وأعطى على القليل كثيراً، ولم يُعَصِّ مغلوباً، ولم يُطَعِّ مكرهاً، ولم يرسل الأنبياء لعباً، ولم يُنزل الكتب للعباد عبثاً، ولا خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً: ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ (ص: 27)»⁽²⁾.

(1) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، ج4، ص153.

(2) نهج البلاغة، الخطبة 78.

• التكاليف لمصلحة الإنسان

لم تكن التكاليف الإلهية إلا لمصلحة الإنسان في الدنيا والآخرة، وهذا ما يتبين عندما ننظر إلى الحالة التوجيهية للإسلام على أساس دورنا الدنيوي الذي يحدده تعاملنا مع الدين؛ إذ نجد فرقاً كبيراً بين أن نتعامل مع الدين على أساس أنه يبعدنا عن الحياة لأجل الآخرة، وبين أن نتعامل معه ليدخلنا إلى قلب الحياة بفاعلية وكفاءة لنصل إلى الله من خلال فعاليتنا الدنيوية، وإلا ماذا نفعل في هذه الدنيا؟ إذا كان المبتغى هو الآخرة، كان يمكن لله تعالى أن يخلقنا للآخرة من دون أن نمرّ بمعبر الدنيا، ولكنه خلقنا للدنيا من أجل أن نعمل فيها، ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: 105)، فسيرى عملكم في الدنيا وليس في الآخرة، ففي الآخرة النتائج حيث لا يوجد عمل ولا تكليف ولا مسؤولية. فالمسؤولية والتكليف والعمل في هذه الدنيا. إذًا، علينا أن نصلح دنيانا، وأن نستقيم فيها، وأن نعمل فيها، من أجل أن نرقى، ومن أجل أن نصل إلى المستويات الأفضل التي تنسجم مع كفاءتنا وإمكاناتنا، فعن رسول الله ﷺ: «اعمل بفرائض الله تكن أتقى الناس»⁽¹⁾. يمكنك أن تكون إنساناً عظيماً يستغل إمكاناته وطاقاته ليصبح راقياً، وإنه لأمر بسيط أن تلتزم بمجموعة من الفرائض فتجد أنك وصلت إلى ما يرضي الله، مثل الذي يزور الطبيب فيقول له التزم بهذه التعليمات وبعد سنة تُشفى إن شاء الله. والله تعالى يعطي الإنسان ما يُصلحه: الصلاة،

(1) الكافي، الشيخ الكليني، ج2، ص81.

الصَّوم، الزَّكَاة، استقامة اللِّسان وصونه، عدم استراق السمع، وعدم السير بالقدمين إلى حيث لا يحب... التزم توجيه الله عزَّ وجلَّ وعطاءه في ما يتعلَّق بعقلك وعاطفتك، وفي ما يتعلَّق بجسدك ونفسيَّتِكَ، من أجل أن تكون مستقراً مستقيماً.

إنَّ نتائج الانحراف الإنسانيَّ تنعكس على الإنسان في الحياة الدنيا قبل أن تنعكس عليه في الآخرة، وبالتالي عندما يوجَّهنا الله تعالى إلى هذه الفرائض وهذه الأوامر فلمصلحتنا، ومن أجل أن نستفيد في الدُّنيا والآخرة.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «مَنْ أَخْلَصَ بِلُغِ الْأَمَالِ»⁽¹⁾. فمع الإخلاص تُحقِّق كُلُّ شيء، وتنجز كُلُّ شيء في هذه الدُّنيا، وتنتصر على الكفر فيها، وتوفَّق لإعمار الأرض فيها؛ أمَّا السلبات التي نجدها، فإنَّما نجدها من المنحرفين وأهل الانحراف.

• الجماعة والإمام

التكاليف الإلهية كُلُّ متكامل، تجمع بين توجيهات الفرد في علاقاته الثلاث مع ربِّه ونفسه ومجتمعه. وكما يعمل الفرد لإتقان عباداته لتقوية علاقته بربِّه، ويهتمُّ بتربية نفسه من خلال ضوابط الحلال والحرام، عليه أن يهتمَّ بمتابعة علاقاته ودوره مع الآخرين في المجتمع.

(1) غرر الحكم ودرر الكلم، التميميَّ الآمدي، ص198.

وتتقوّم العلاقة المجتمعيّة بلزوم الجماعة على طريق الحقّ ونصرته، وتتقوّم الجماعة بإمامها وقائدها وموجّها؛ وعليه فإنّ المؤشّر للنجاح المجتمعي تلازم الأمرين: ملازمة الجماعة، واتباع القيادة، فعن رسول الله ﷺ: «مَنْ فارق جماعة المسلمين، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه. قيل: يا رسول الله، وما جماعة المسلمين؟ قال: جماعة أهل الحقّ وإن قلّوا»⁽¹⁾.

وعن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ فارق جماعة المسلمين قيد شبر، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، ومَنْ مات ليس عليه إمام فميتته جاهليّة، ومَنْ مات تحت راية عمية يدعو إلى عصبه أو ينصر عصبه فقتلته جاهليّة»⁽²⁾.

• انتظار الفرج من التكليف

إنّ التزام القيادة الشرعيّة جزء لا يتجزأ من التكليف الإلهيّة، فهو ليس أمراً مستحبّاً عابراً، ولا خياراً يمكن تركه أو التخلّي عنه؛ إذ من دون القيادة يضيع الإنسان ويضلّ الطريق. وقد أرسل الله تعالى الأنبياء هداة وقادة للبشريّة، وأرسل النبيّ محمداً ﷺ خاتمهم وسيدهم ليقود الناس إلى سعادتهم، وقد تابع الأئمّة الهداة عليهم السلام مسيرة النبوة، وسيتابع الإمام المهديّ ﷺ هذا المسار، وفي غيابه يتولّى الوليّ الفقيه القائد مهمّة تسليم الأمانة والراية إلى صاحب العصر والزمان (أرواحنا لتراب مقدمه الفداء).

(1) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص413.

(2) كنز العمال، المتقي الهندي، ج1، ص208.

من هنا، كان انتظار الفرج أفضل العبادة، فعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، عن رسول الله ﷺ: «أفضل العبادة انتظار الفرج»⁽¹⁾، بل أفضل أعمال الأمة، فعن الإمام العسكري عليه السلام عن رسول الله ﷺ: «أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج من الله عزّ وجلّ»⁽²⁾. ولا بدّ من ترجمة الانتظار بلزوم الجماعة وقيادتها المتمثلة بالإمام الخامنّي رحمته الله كمتصدّد لهذا التكليف الإلهي الكبير، كي نصل إلى برّ الأمان مع وليّ العصر الإمام الحجة عليه السلام.

(1) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص 287.

(2) المصدر نفسه، ص 644.



تحقق البشارة بالإمام المهدي عليه السلام منعطفاً مهماً في حياة الفرد والمجتمع؛ إذ يؤدي انتظار ظهوره في مستقبل البشرية تأثيراً على مستوى التفكير، والإيمان، والذات الإنسانية، والسلوك. فظهور المخلص يعني التفكير في الموقف منه والعلاقة معه، والإيمان به يُنجز التزاماً وتصويماً تجاه خطوة من خطوات المسار والمنهج الإلهي، وتتعبأ الذات الإنسانية بحالة روحية ومعنوية متفائلة، ويتأثر السلوك استعداداً للالتحاق بركب الإمام عليه السلام.

إنَّ التأكيد على الإيمان بالإمام المهدي عليه السلام من خلال الآيات والروايات الكثيرة والمتواترة، يدلُّ على الأهمية التي يوليها الإسلام لهذا القائد الرمز، ولدوره وموقعه وأثره في الحياة الإنسانية. ولعلَّ بعضهم ينصرف إلى المعلومات التفصيلية حول توقيت الظهور ومؤشرات أكثر ممَّا يهتمُّ بأصل الظهور وأثر وجوده؛ علماً أنَّ النتائج المتوخاة خلال فترة احتجابه وغيابه عنَّا تتحقَّق بشكلٍ كبيرٍ وفَعَالٍ بسبب الإيمان به. وهذا ما أشارت إليه الروايات التي تحدَّثت عن انتظار الفرج بأنَّه أفضل العبادات، وأحبُّ الأعمال إلى الله عزَّ وجلَّ، ففي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «أفضل العبادات انتظار الفرج»⁽¹⁾، وفي سؤال

(1) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص 287.

لأمير المؤمنين عليه السلام: «فَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟
أَجَاب: انتظار الفرج»⁽¹⁾.

• انعكاسات الإيمان بالإمام عليه السلام

للإيمان بالإمام المهدي عليه السلام انعكاسات على واقع المؤمنين، نذكر منها:

أولاً: شحنة معنوية: إِنَّ انتظار الإمام المهدي عليه السلام يزرع الأمل في نفس المؤمن، ويطمئنه لحلول قادمة في المستقبل، بحيث يرتبط بوعد الله تعالى الذي لا يُخلف وعده، أي بالقوة الفاعلة على الأرض، فرصيد المؤمن من الدعم الإلهي يُشعره بالقوة والقدرة، وهذا ما يُولد شحنة معنوية تنعكس على إرادته وموقفه، حيث تصبح إرادته وتصميمه وثقته بنفسه أقوى أمام التحديات، وينطلق موقفه بثبات وصلابة واطمئنان، متمسكاً بالاستقامة والصلاح في مقابل الانحراف والفساد.

ثانياً: ضمان النتيجة: قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص: 5). وذكرت الروايات أَنَّ الإمام المهدي عليه السلام سيقم دولة العدل الإلهية على الأرض، فالنصر مؤكّد للمؤمنين، والهزيمة حتمية للكافرين، ولا مجال لأيّ شك في هذه النتيجة، فهي وعد الله تعالى، وإرادته في حياة البشرية أن يظهر خاتم الأئمة الإمام المهدي عليه السلام في آخر

(1) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، ص199.

الزمان، ويكون النصر الكبير الشامل على يديه. فعندما ينتظر المؤمن النصر القادم، يدرك أنَّ خطواته ستتراكم مع خطوات الأمة، وستثمر في يوم من الأيام، حتَّى ولو جهل تاريخ هذا اليوم، فتكليفه أن يكون جزءاً من هذا الخطّ، وأن يتوكَّل على الله تعالى في ما يقضي ويُقدِّر.

ثالثاً: أثر القيادة: إنَّ تباعد الزمان عن التواصل المباشر مع المعصوم، فتح باب الاجتهاد لشرح تعاليم الإسلام وتوضيحها للناس، وتحديد تكليفهم الشرعيّ تجاهها، وأوجد ثغرات في التطبيق والمواقف، وتبايناً في الآراء أدَّى إلى نشوء فرقٍ ومذاهب وجماعات... فمن هو صاحب الحقِّ الأكيد؟ ومن يصيب بدقَّةٍ أكثر في آرائه ومواقفه؟ إنَّ انتظار الإمام المهديّ ﷺ يحسم مسار القيادة المفترضة الطاعة، ويربح المؤمن باتباع من يرشده إليه ويكون من أتباعه وأنصاره، فيرفع حيرته حول صوابية ما يؤدِّيهِ من تكليف شرعيّ.

رابعاً: عدم الاستسلام: يعيش المؤمن واقعاً مريعاً في مواجهة الكفر والانحراف، وكأنَّه يقبض على الجمر، ويعرِّض نفسه للاحتراق، فعن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ: «يا بن مسعود، يأتي على الناس زمانٌ، الصابر على دينه مثل القابض على الجمرة بكفه»⁽¹⁾، ويضغط الشيطان وأعوانه على المؤمنين بزينتهم من ناحية، وظلمهم واستبدادهم من ناحية أخرى، ليحرفوهم عن

(1) مستدرک الوسائل، الميرزا النوري، ج12، ص330.

الطاعة لله تعالى. فإذا اعتقد المؤمن بأنه متروك من دون أفقٍ للحلّ، وأنه وحيدٌ في الصمود والمواجهة، فستضعف قدرته أمام الواقع الضّاغط، وقد يسقط في الامتحان. أمّا مع وجود الأمل بالخلاص، فإنّ الصمود يقوى ويشتدّ، فلا يستسلم مهما كانت الصّعوبات والضغوطات، وهذا ما يجعله ثابتاً على الإيمان.

خامساً: إمكانية التغيير: عندما يعمُ الانحراف الأرض، ويشتدُّ جبروت المستكبرين والظالمين، وتبرز الصّورة القاتمة لسيطرة الشرّ في العالم، يدبُّ اليأس في النفوس. ولكن عندما يكون الأمل موجوداً بظهور المهديّ ﷺ، واستشراق النصر حقيقةً لا محيص عنها، يتوقّع المؤمن تغيير الواقع، ويشحذ همّته للعمل الدؤوب، وينهض بدعوته إلى الله تعالى مهما كانت إمكاناته متواضعة، ويبدل جهده ليساهم في مسيرة الاستقامة، وبذلك نكون أمام حيويّة لا تهدأ، وعزيمة لا تنكسر.

• وعدٌ بالنصر قائم

إنّ وعد الله تعالى للمؤمنين بالنصر إذا نصره قائمٌ في كل زمان، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمّد: 7)، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم: 47)، لكن متى تتحقّق شروط نصره المؤمنين لله تعالى، ومتى يستحقّون النصر؟ تبقى الإجابة مرتبطة بمستوى أداء المؤمنين، فإذا لم يتوفّر هذا المستوى في زمانٍ ما، لا يتحقّق النّصر كذلك، ولو بلغ الأمر مساحة الحياة الإنسانية. أمّا التغيير وخصوصيّة النّصر المرتبطة بظهور الإمام ﷺ

فهي حتمية، حيث ستتحقق الشروط المطلوبة، وسيظهر الإمام عليه السلام،
ويسود الإيمان والعدل، فهو وعدٌ لزمانٍ قادم لا يمكن تجاوزه، وهذه
بشارة عظيمة للمؤمنين، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ آلِ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ
وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (الصف: 8).



يتميّز الإمام المعصوم بصفات خاصّة تجعله في الموقع الأوّل للقيادة، وله دورٌ رئيس في إقامة الدين ونصرته في حياة الناس، وهو منارة الهدى والاستقامة، والمتّصل بحبل الله تعالى، فمن أطاعه بامتثال أوامره والانتهاه عن نهيه، نال رضوان الله تعالى.

تبرز هذه المعاني في دعاء عرفة لسيدّ العابدين والساجدين عليّ بن الحسين (عليه السلام)؛ إذ يقول: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَيَّدْتَ دِينَكَ فِي كُلِّ أَوَانٍ بِإِمَامٍ أَقَمْتَهُ عِلْمًا لِعِبَادِكَ، وَمَنَارًا فِي بِلَادِكَ بَعْدَ أَنْ وَصَلْتَ حَبْلَهُ بِحَبْلِكَ، وَجَعَلْتَهُ الذَّرِيعَةَ إِلَى رِضْوَانِكَ، وَافْتَرَضْتَ طَاعَتَهُ، وَحَذَرْتَ مَعْصِيَتَهُ، وَأَمَرْتَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَالْإِنْتِهَاءِ عِنْدَ نَهْيِهِ، وَأَلَّا يَتَقَدَّمَ مُتَقَدِّمٌ، وَلَا يَتَأَخَّرَ عَنْهُ مُتَأَخِّرٌ، فَهُوَ عِصْمَةُ اللَّائِذِينَ، وَكَهْفُ الْمُؤْمِنِينَ، وَعُرْوَةُ الْمُتَمَسِّكِينَ، وَبَهَاءُ الْعَالَمِينَ»⁽¹⁾.

• «المنتظر» القدوة

وبما أنّ الإمام موجودٌ في كلّ زمان، وننتظر إمامنا المهديّ (عجل الله فرجه) في هذا الزمان، فإنّ اقتداء المنتظرين بقائم آل محمّد (ص) يحقق الثواب والرضوان عند الله تعالى. ومن المهمّ لنا أن نعرف ما ننتظره عند ظهور الحجة (عجل الله فرجه)، ليكون أداؤنا في غيبته موافقاً لما يجب أن نكون عليه في حضوره. وقد رسم الإمام زين العابدين (عليه السلام) في

(1) الصحيفة السجّادية، دعاء الإمام زين العابدين (عليه السلام) في يوم عرفة، الدّعاء (147).

دعاء عرفة نفسه، خطوات الإمام في حضوره، وعلاقة المؤمنين به، بصيغة دعاءٍ وطلبٍ من الله تعالى، رجاء توفيقه لتحقيقها.

قال الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه: «اللَّهُمَّ فَأَوْزِعْ لَوْلِيكَ شُكْرَ مَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيَّ، وَأَوْزِعْنَا مِثْلَهُ فِيهِ، وَآتِهِ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا، وَافْتَحْ لَهُ فَتْحًا يَسِيرًا، وَأَعِنِّهِ بِرُكْنِكَ الْأَعَزَّ، وَاشْدُدْ أَرْزَهُ، وَقَوِّ عَضْدَهُ، وَرَاعِهِ بِعَيْنِكَ، وَاحْمِهِ بِحِفْظِكَ، وَأَنْصُرْهُ بِمَلَائِكَتِكَ، وَامْدُدْهُ بِجُنْدِكَ الْأَغْلَبِ، وَأَقِمْ بِهِ كِتَابَكَ وَحُدُودَكَ وَشَرَائِعَكَ وَسُنَنَ رَسُولِكَ صَلَوَاتِكَ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَأَحْيِي بِهِ مَا أَمَاتَهُ الظَّالِمُونَ مِنْ مَعَالِمِ دِينِكَ، وَاجْلُ بِهِ صَدَأَ الْجَوْرِ عَنْ طَرِيقَتِكَ، وَأَبْنِ بِهِ الضَّرَاءَ مِنْ سَبِيلِكَ، وَأَزِلْ بِهِ النَّاكِبِينَ عَنْ صِرَاطِكَ، وَامْحَقْ بِهِ بُغَاةَ قَصْدِكَ عَوَجًا، وَأَلِنْ جَانِبَهُ لِلْأَوْلِيَاءِ، وَابْسُطْ يَدَهُ عَلَى أَعْدَائِكَ، وَهَبْ لَنَا رَافِقَهُ وَرَحْمَتَهُ وَتَعَطُّفَهُ وَتَحَنُّنَهُ، وَاجْعَلْنَا لَهُ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ، وَفِي رِضَاهُ سَاعِينَ، وَإِلَى نُصْرَتِهِ وَالْمُدَافَعَةِ عَنْهُ مُكْنِفِينَ، وَإِلَيْكَ وَإِلَى رَسُولِكَ صَلَوَاتِكَ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِذَلِكَ مُتَقَرِّبِينَ»⁽¹⁾.

• طريق الإيمان والانتظار

نستفيد من الدعاء توجيهات عدّة، أبرزها:

أولاً: شكر النعم، بما أعطاه الله تعالى للإمام عليه السلام، وبما أعطانا في حياتنا من خيرات، وعلى رأسها نعمة الإيمان والتزام نهج الإسلام، فبالشكر تدوم النعم.

(1) الصحيفة السجّادية، مصدر سابق، دعاء عرفة، ص 323.

ثانياً: أهميّة السلطان، وهذا ما وعدنا الله تعالى به، أن تكون لإمامنا السلطة والقدرة ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً، كما مُلئت ظلماً وجوراً؛ لذا دعا الإمام (عليه السلام) ربّه: «وَأَتِهِ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا، وَافْتَحْ لَهُ فَتْحًا يَسِيرًا».

ثالثاً: النصر، وهو أمل المستضعفين، وشوقهم إلى أن يسدّدهم الله تعالى، بكل أشكال الدعم، «وَأَنْصُرُهُ بِمَلَائِكَتِكَ، وَآمُدُّهُ بِجُنْدِكَ الْأَغْلَبِ».

رابعاً: إقامة الدين، وذلك بتحكيم شريعة الله المقدّسة في حياة الناس؛ إذ الإسلام رسالة الله الكاملة التامة لسعادة البشريّة، ولا سعادة بغيرها؛ ولذا فإنّ المهمة الكبرى للإمام المهديّ (عليه السلام) هي إقامة هذا الدين، وعلينا أن نسلّك طريق الإيمان، لنصل إلى هذا الخطّ الذي يقوده إمامنا (أرواحنا لتراب مقدّمه الفداء).

خامساً: جلاء الحقيقة، التي أصابها التشويش والتحريف بسبب الضالّين والمضلّين، والتي أوصلتنا إلى زمان لا يكتفي فيه الكثيرون بإهمال فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل يأمرّون بالمنكر وينهون عن المعروف، لا بل أشدّ من ذلك، يرون المعروف منكراً والمنكر معروفاً.

إنّ المهمّة كبيرة وجليّة وصعبة، فإذا تراكم الانحراف يتطلب جهداً كبيراً ومتواصلاً، لكشف الزيف وفضح الباطل، وإزالة الشوائب التي أحاطت بمعالم الدين، ولكن يتحقّق الهدف بالاستعانة بالله تعالى، وعند ظهور الإمام (عليه السلام) ينكشف كلّ شيء، «وَاجُلْ بِهِ صَدّاً

الْجَوْرَ عَنْ طَرِيقَتِكَ، وَأَبْنُ بِهِ الضَّرَاءَ مِنْ سَبِيلِكَ». وهي مهمّة تعيننا؛ أن نعمل كي نزيل الالتباس الذي أحاط بهذا الدين من تفسيرات وسلوكات خاطئة ومنحرفة، فإذا ما استقمنا على هذه الجادة، أدّينا وظيفتنا، وسلكنا طريق الانقياد لإمامنا المعصوم (عليه السلام).

سادساً: علاقة المحبة والرأفة والرحمة بين الإمام وأنصاره: وهي نتيجة طبيعية للإيمان، فالإمام حنون وعطوف من موقع قيادته، يُعطي من عاطفة القلب ما يعزّز صلة أنصاره به، وما يؤدّي إلى النجاحات المتتالية المليئة بالمشاعر الصادقة والمطمئنة. لسنا أمام سلطةٍ تأمر وتنهى بجفاء، بل أمام قائدٍ يقود بحبٍّ وحنان، وهذا من روائع الإسلام المحمّديّ الأصيل.

سابعاً: «وَجَعَلْنَا لَهُ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ»؛ إذ لا يمكن لخيرات وجوده وبركاته أن تشملنا إذا لم نكن من أنصاره وأعوانه، فدعأونا لله تعالى أن يعيننا على أنفسنا، لنكون من المسارعين إلى نصرته، والمدافعين عنه، والسّاعين إلى رضاه، وبذلك نكون مع الله ورسوله والأئمّة الأطهار، فنحصل على سعادة الدّنيا وثواب الآخرة.

تعلّمنا هذه الفقرة من دعاء عرفة، أن ننظر بأملٍ ووعي ومسؤوليّة إلى إمامنا المنتظر (عليه السلام)، وأنّ نعمل بمضمونها كتكليفٍ مهمّ للظهور؛ لأنّ ما نتظره من الإمام من شموليّة وعدل وكمال، هو ما ينتظره الإمام مثلاً، وفي المسار نفسه بحسب قدراتنا وطاقاتنا، لنلاقيه عند الظهور أنصاراً مؤمنين صادقين.

لا تخلو الأرض من الحجّة، التي تتمثل بالمعصوم، نبيّاً كان أم إماماً. والإمام لا يخلو من حالتين، إمّا ظاهراً أو مستوراً، وبذلك تبقى الحجّة في الأرض على العباد، ليعبدوا الله تعالى حقّ عبادته، وتكتمل شروط المساءلة يوم القيامة.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «ولم تخلُ الأرض منذ خلق الله آدم عليه السلام من حجّة لله فيها، ظاهر مشهور، أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجّة لله فيها، ولولا ذلك لم يُعبد الله»⁽¹⁾.

حجّتنا في زماننا هو الإمام المهديّ عليه السلام في غيبته الكبرى. وهي غيبة لا نستطيع فيها التواصل المباشر معه أو رؤيته إلّا في حال إرادته لذلك، لكنّه لا يفارقنا، ويحضر المواسم كموسم الحجّ، حيث يرى المؤمنين ولا يرونه، فعن أبي عبد الله عليه السلام: «للقائم غيبتان، يشهد إحداها المواسم، يرى الناس، ولا يرونه»⁽²⁾. إنّ عدم رؤية المؤمنين له لا يعني عدم وجوده، فقد أخبرتنا الروايات بحضوره بطريقة مختلفة عن حضور أحدنا في حياته اليومية؛ أيّ أنّه يكون غائباً عنّا لكنّه يرانا، حيث يريد، وحيث يحضر، فعن زرارة قال:

(1) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص253.

(2) الكافي، الشيخ الكليني، ج1، ص339.

سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «يفقد الناس إمامهم، يشهد الموسم، فيراهم ولا يرونه»⁽¹⁾. وقد أكد ذلك أحد سفراء الإمام المهدي عليه السلام محمد بن عثمان العمري (رض) بقوله: «والله، إنَّ صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كلَّ سنة، يرى الناس، ويعرفهم، ويرونه، ولا يعرفونه»⁽²⁾.

• كيف يمكن الاستفادة من هذا الغياب؟

لقد أجاب الإمام الصادق عليه السلام سليمان (أحد أصحابه) عندما سأله: فكيف ينتفع الناس بالحجَّة الغائب المستور؟ فقال عليه السلام: «كما ينتفعون بالشَّمس إذا سترها السَّحاب»⁽³⁾. فأثار الفائدة لا تقتصر على المشاهدة، بل تعمَّ جوانب كثيرة، منها: الاطمئنان إلى وجود الإمام الذي يكون على يديه الفرج؛ ما يعطي الأمل الدائم بنصر دين الله تعالى، والتعلُّق بالقائد الذي يحقق السَّكينة النفسيَّة عند أتباعه بحضوره ووجوده لقيادتهم في يوم ما، وتسديده للمؤمنين بأشكال مختلفة لا نعلمها ولا ندركها، ولكننا نلمس نتائجها.

• أهل زمان الغيبة

لا يخفى أنَّ نموذج المؤمنين في زمن الغيبة، أفضل بشكل عامٍّ من نموذجهم في أزمنة حضور المعصومين عليهم السلام؛ لأنَّ الغيبة تستبطن امتحاناً إضافيًّا في عدم الارتواء بالبركات والتوجيهات

(1) الكافي، الشيخ الكليني، ج1، ص337.

(2) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج2، ص520.

(3) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص253.

المباشرة لحضور المعصوم. وَمَنْ صَبَرَ على هذا الامتحان، وقَدَّمَ أفضل ما عنده مضحياً بالمال والنفس في سبيل الله، حصل على ميزة التضحية في غياب بعض محفّزاتها، وَمَنْ يُعْطِي من المؤمنين المجاهدين في زمان الغيبة، إنّما يساهم أيضاً في مراكمة عطاءات المجاهدين لتعجيل الظهور، وهذه ميزة إضافية. ولولا تمايز هؤلاء المجاهدين، لما تصدّوا للكفر والنفاق والظلم، على الرغم من قلة عددهم وعدّتهم، واستمروا حامليين راية الإسلام المحمّديّ الأصيل.

يروى أبو خالد الكابليّ قائلًا: دخلت على سيدي ومولاي عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام، فقلت له: يا بن رسول الله، أخبرني بالذين فرض الله عزّ وجلّ طاعتهم ومودّتهم، وأوجب على عباده الاقتداء بهم بعد رسول الله ﷺ... فقال له عليه السلام: «... ثمّ تمتدّ الغيبة بوليّ الله عزّ وجلّ، الثاني عشر من أوصياء رسول الله ﷺ والأئمة من بعده. يا أبا خالد، إنّ أهل زمان غيبته، القائِلين بإمامته، والمنتظرين لظهوره، أفضل من أهل كلّ زمان؛ لأنّ الله تبارك وتعالى أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله ﷺ بالسيف، أولئك المخلصون حقّاً، وشيعتنا صدقاً، والدعاة إلى دين الله عزّ وجلّ سرّاً وجهراً»⁽¹⁾.

(1) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص319.

• شباب حزب الله

لقد شاهدنا بأَمِّ العين شباب حزب الله يخوضون اللُّجج، ويواجهون الكفر العالمي، ويقدمون الملاحم الأسطورية في ميدان الجهاد في سبيل الله ضدَّ العدوِّ الإسرائيليِّ، ويثبتون حين تزلزلت الكثير من الأقدام، ولولا إيمانهم بالله تعالى ومنهج الرسول ﷺ وآل البيت ، وانتظارهم لظهور القائم  لما أبلوا هذا البلاء، وقدموا هذه التّضحيات؛ إنَّهم رجال الله حقّاً وصدقاً، وكذلك المجاهدات المؤمنات من أخواتنا وأمّهاتنا وبناتنا الصّابرات المحتسبات على خطِّ الإمام المهديّ ، فهنيئاً لمن تشرفَّ بولاية صاحب العصر والزمان ، فهو في جهاده أفضل من أهل كلّ زمان.

نحن متجهون حتماً إلى نشر العدالة الإلهية على الأرض، وكلُّ يومٍ يمرُّ يُقربنا منها. ومهما تكن الصَّعوبات كثيرة، والفساد منتشرًا، والظلم سائدًا، فإنَّها مرحلةٌ آيلةٌ إلى الانتهاء، من دون معرفة مدَّتها الزمنية، التي نسأل الله تعالى أن تكون قصيرة، وأن نكون في عصر الظهور.

• الأمل محفِّز الإيمان

ينطلق الأمل الحتميُّ بنشر دين الله على الأرض من الوعد الإلهي، الذي تكرَّر بصيغ مختلفة في القرآن الكريم، نذكر منها الآية الكريمة التي بيَّن تفسيرها أمير المؤمنين عليٌّ (عليه السلام)، فقد روى العياشيُّ بالإسناد عن عمران بن ميثم، عن عباية، أنَّه سمع أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ» (التوبة: 33)، أظهرَ بعد ذلك؟ قالوا: نعم. قال (عليه السلام): كلاً، فوالذي نفسي بيده، حتَّى لا تبقى قريةٌ إلَّا ويُنَادى فيها بشهادة أن لا إله إلَّا الله، بكرَّةً وعشيًّا»⁽¹⁾.

إنَّنا معنيون بتثبيت هذا الأمل في حياتنا؛ إذ إنَّ الخضوع والتسليم لمسار الكفر والظلم يسبِّبان الإحباط والانحراف، بينما

(1) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، ج9، ص464.

تحفّزنا الثقة والاطمئنان بانتشار دين الله تعالى على كلّ المعمورة للمزيد من العمل والجهاد، وتعزيز إيماننا بالله تعالى، وتوجيه سلوكنا نحو العبادة والطاعة والاستقامة. إنّنا أمام زرعٍ سرعان ما سيثمر بركاتٍ وخيراتٍ لا حصر لها، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «يُنْتَجُ الله في هذه الأُمَّة رجلاً مِنِّي وأنا منه، يسوق الله به بركات السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ، فَتُنْزَلُ السماء قطرها، وتُخْرَجُ الأرض بذرها، وتَأْمُنُ وحوشها وسباعها، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ويقتل حتّى يقول الجاهل: لو كان هذا من ذرية محمّد لرحم»⁽¹⁾.

• في الإسلام سعادة حتميّة

ما أضيّق العيشَ لولا فسحة الأمل! وما أرحبَه عندما يكون الأملُ وعداً إلهيّاً وإخباراً نبويّاً! عندما يكُدُّ الواحد منّا في هذه الدنيا، ويبذل أقصى جهده لتحسين شروط حياته الخاصّة مادّيّاً ومعنويّاً إنّما يبني على الأمل لإنجاز ما تمناه، وليس معلوماً أن يحصل على ما تمناه، أمّا بذل الجهد على أمل ظهور قائم آل محمّد عليه السلام، ونشر العدل على الأرض، فلن يضيع سدى؛ لأنّنا بانتظار النّصر الحتميِّ. وبما أنّ الإنسان يعمل من أجل مستقبل سعيد ومطمئنّ، فسلوكه الإيمانِي المرتبط بالإسلام سيحقق له السعادة الحتميّة والطمأنينة الأكيدة، حيث ستكون حال المعمورة مع ظهور الإمام عليه السلام مختلفة عن حالها في غيبته؛ إذ تتدفّق الخيرات عند ظهوره، وينعم المؤمنون

(1) بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، ج 51، ص 146.

ببركات وجود حكم صاحب العصر والزمان (أرواحنا لتراب مقدمه
الفداء)، وعدالته، وانتصاره.

إنَّها إرادة الله تعالى أن يعيش البشر في هذه الحياة الدنيا تقُّلُّبات
الأجيال عبر الأزمنة، حيث يتداول السُّلطة المؤمنون والكافرون،
ويبرز الكفر والفساد في أغلب الحَقَب الزمنية في تاريخ البشريَّة،
وتكون المحطَّات الإيمانيَّة محدودة ولامعة، ثمَّ تكون خاتمتها دولة
الإمام المهديّ عليه السلام. ومن توفيقنا أنَّنا المنتظرون لهذا النَّصر الإلهيِّ
الشامل والعظيم، وأن نكون الصابرين الذين يأملون عطاءات الله
تعالى، فلا يستبدلون بها بمتاع الحياة الدنيا الزائل، وأن نهَيِّ أنفسنا
لنكون مؤهلين كجنود وأنصار بقيادة الحجة عليه السلام؛ لما ينتظرنا من
بركات وتوفيقات لا يمكن الحصول عليها بواسطة السُّبُل الأخرى.

• عند الظهور تظهر القوَّة

عند الظهور المبارك لإمام زماننا عليه السلام يستعيد المؤمن قوَّته
ويشعر بها، فعن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه عن جده علي بن
الحسين عليه السلام أنَّه قال: «إِذَا قَامَ الْقَائِمُ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْ كُلِّ مُؤْمِنٍ
الْعَاقِبَةَ، وَرَدَّ إِلَيْهِ قُوَّتَهُ»⁽¹⁾.

وكذلك يجمع الله عقول المؤمنين، وتكتمل أحلامهم، وتتحقِّق
رغباتهم، فعن أبي جعفر عليه السلام: «إِذَا قَامَ قَائِمُنَا وَضَعَ اللَّهُ يَدَهُ عَلَى
رُؤُوسِ الْعِبَادِ، فَجَمَعَ بِهَا عُقُولَهُمْ، وَكَمَلَتْ بِهِ أَحْلَامَهُمْ»⁽²⁾.

(1) كتاب الغيبة، الشيخ النعماني، ص 317.

(2) الكافي، الشيخ الكليني، ج 1، ص 25.

فيا أيها المؤمنون، تواصلوا وتبارؤا وتراحموا في ما بينكم لتحصلوا على الأجر والثواب، فيسجل ذلك في صحيفة أعمالكم، فكلُّ كسبٍ في زمن الغيبة عزيزٌ لا يعوّض، وله قيمة العمل الصالح المأجور في زمن الابتلاءات والاختبارات، وجدّوا السعي لكلِّ صلاحٍ وأمرٍ بالمعروف ونهيٍ عن المنكر مهما غلت التضحيات؛ لأنّكم بحاجة إلى هذا الرصيد لقبول الله تعالى لكم، ولانتمائكم إلى حركة الظهور المجيدة.

عن الكاهليّ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «تواصلوا وتبارؤا وتراحموا. فوالذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ليأتينَّ عليكم وقتٌ لا يجد أحدكم لديناره ودرهمه موضعاً» -يعني أنّه لا يجد له عند ظهور القائم عليه السلام موضعاً يصرفه فيه؛ لاستغناء الناس جميعاً بفضل الله وفضل وليّه - .

فقلت: وأنّى يكون ذلك؟

فقال عليه السلام: عند فقدكم إمامكم، فلا تزالون كذلك، حتّى يطلع عليكم كما تطلع الشمس آيس ما تكونون، فإيّاكم والشكّ والارتياب، وانفوا عن أنفسكم الشكوك، وقد حدّرتكم فاحذروا. أسأل الله توفيقكم وإرشادكم»⁽¹⁾.

لا يستطيع أحد إحصاء بركات ظهور مولانا الحجة عليه السلام، وبعد ظهوره المبارك لن يلتفت أحد إلى كلّ العقبات والصّعوبات التي

(1) كتاب الغيبة، الشيخ النعمانيّ، ص152 - 153.

واجهها في زمن الغيبة، فإنَّ أنوار الظهور وخيراته حاجبةٌ لكل المآسي والتضحيات التي أحاطت بالمؤمنين. وثقوا أنَّنا كلَّما اجتهدنا وعملنا في طاعة الله تعالى، عَجَّلنا من فرج مولانا الأعظم ﷺ. فلتشخص أبصارنا إلى هذا الهدف طاعةً لله تعالى، فنجمع خير الدنيا والآخرة.



«انتهزوا فُرَصَ الخير؛ فَإِنَّهَا تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ» ⁽¹⁾. إِنَّهَا الْفُرَصُ الَّتِي أَتَاهَا اللَّهُ تَعَالَى لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، فَهُوَ يَتَوَبُّ عَلَيْنَا كُلَّمَا أَخْطَأْنَا ثُمَّ لَجَأْنَا إِلَيْهِ بِطَلَبِ التَّوْبَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، وَهُوَ الَّذِي يُرِينَا الْعَبْرَ وَالْمَوَاعِظَ مِنْ تَجَارِبِ الْآخِرِينَ؛ كَيْ لَا نَقَعَ كَمَا وَقَعُوا، وَهُوَ الْمُنْعَمُ الَّذِي لَا إِحْصَاءَ لِنِعْمِهِ ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ (النحل: 18)؛ لِنَسْتَفِيدَ مِنْهَا فِي الْخَيْرَاتِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَهُوَ الَّذِي يَبْتَلِينَا لِإِيقَازِنَا مِنْ غَفْلَتِنَا لِنَسْتَأْنِفَ حَيَاتِنَا فِي الطَّاعَةِ، وَهُوَ الَّذِي أَمَرَنَا بِعِبَادَاتٍ تُقَرِّبُنَا مِنْهُ، وَتُعِينُنَا فِي مُوَاجَهَةِ هَوَى النَّفْسِ، وَهُوَ الَّذِي أَرَشَدَنَا بِفَطَرَتِنَا إِلَى صَوَابِيَّةِ الْإِيمَانِ وَأَرْسَلَ لَنَا الْأَنْبِيَاءَ هِدَاةً وَمُرْشِدِينَ... وَمِنْ الْحِكْمَةِ أَنْ نَنْتَهِزَ هَذِهِ الْفُرَصَ اسْتِعْدَادًا لِلْآخِرَةِ.

• اغتنام الفرص

مَنْ النَّاسُ مَنْ يَتَرَاخَى وَيُهْمِلُ وَيَسُوفُ حَتَّى يَمُرَّ وَقْتُ الشَّبَابِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ. انْتَبِهْ فَقَدْ يُغْلَقُ بَابُ الْفُرَصِ بِتَرَكَامِ الذُّنُوبِ وَالْإِنْجَذَابِ إِلَى الْمَعَاصِي، أَوْ بِالْمَوْتِ الْمَفَاجِئِ لِدُنُوِّ الْأَجَلِ.

(1) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص 89.

عن رسول الله: «مَنْ فُتِحَ لَهُ بَابٌ خَيْرٌ فلينتهزه، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَتَى يُغْلَقُ عَنْهُ»⁽¹⁾، وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «الفرصة سريعة الفوت، بطيئة العود»⁽²⁾.

لا تعتمد على طول الأمل بحياة مديدة في هذه الدنيا، فربما داهمك الموت حيث تكون، فالأجل مؤقت بإرادة الله تعالى وتقديره، وليس مرتبطاً بسنٍّ معينة أو احتياطات يتخذها الإنسان، فأنت لا تعلم عمرك في هذه الدنيا، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان: 34).

اغتنم الفرص التي تهيأت لك في كل المجالات، واعمل بما أوصى به نبينا محمد ﷺ أبا ذر الغفاري (رض): «يا أبا ذر، اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»⁽³⁾. فالشباب قوة العنفوان، وما تنجزه خلاله كبيرٌ وعظيم، فإذا ما هرمت، يضعف بدنك، وتهداً نفسك، وتقلُّ رغباتك، ولا تقوى على فعل أشياء مهمة، وعندها لا أثر فعلاً لاستقامتك؛ إذ لا قدرة لديك.

والصحة نعمة، ولا يعلم إلا الله تعالى كم تدوم. أمّا إذا أنعم الله تعالى عليك بالمال، فاصرفه في الحلال، وأدِّ الحقَّ الشرعيَّ من الخمس

(1) مستدرک الوسائل، الميرزا النوري، ج 12، ص 140.

(2) عيون الحكم والمواعظ، الليثي الواسطي، ص 21.

(3) الأمالي، الشيخ الطوسي، ص 526.

والزكاة، ولا تسرف فيه، ولا تكن بخيلاً واستمر في تواضعك مع الناس، فلعَلَّ حادثة أو سبباً ما يُذهب ما تبقي لك من مال، أو أن رزقك المقسوم الذي حصلت عليه غنياً في بداية حياتك انتهى فقراً في نهايتها، فانتبه كيف تحصل على مالك، وكيف تصرفه بما يرضي الله تعالى.

والفراغ آفة لمن أضاعه، ونعمة لمن ملأه بالخير والعمل والتعلم والتبليغ وصلة الأرحام... فكم من فراغ أدّى إلى اليأس والفشل بسوء الاستفادة منه، فإذا ما استفدت من فراغك، بإعداد برنامج عبادة وصلاح وعمل خير، فهو رصيدك قبل أن تشغل مضطراً بما لا تستطيع معه أن تجد وقتاً فارغاً تملؤه كما تريد.

• الحياة فرصة العمر

وأما الجامع لهذا كله فهو هذه الحياة الدنيا، وهي مسرح العمل، وهي التي تأخذ منها سعادة الدارين، أو تفشل فيها بخسارة الدارين، فلا ربح حقيقياً في الدنيا إلا ويتبعه ربحٌ خالد في الآخرة، ولا خسارة بسبب المحرمات والآثام والالتهاء بزينة الدنيا الحرام إلا ويتبعها جهنم وبئس المصير، فالحياة فرصة العمر المحدود لمصلحة الخلود، فانظر إلى حياتك في طاعة أوامر الله والالتهاء عن نواهيهِ، تسعد تَقْرُ.

التفت إلى نصيحة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «أيها الناس، الآن الآن من قبل الندم، ومن قبل ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرْتُ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ﴾ ٥٦ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ٥٧ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ

أَلْمُحْسِنِينَ﴾ (الزمر: 56 - 58)، فيردُّ الجليل (جَلَّ ثَنَاؤُهُ): ﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَ ثَاكَ
ءَايَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (الزمر: 59)»⁽¹⁾.

• من جند الإمام

تفكَّر في هذا كله، والتفت إلى أَنَّك في زمن الغيبة الكبرى
للإمام المهديّ عليه السلام، فما تقوم به على درب الصلاح يؤسِّس لالتحاقك
بجند الإمام القائم عليه السلام، وما تستفيد منه في شبابك وصحتك وغناك
وفراغك وحياتك جزءً من إعداد العدة اللازمة لتكون من أنصاره
وأعوانه. يمكنك أن تكون واحداً من أولياء الله تعالى الموالين للحجَّة
ابن الحسن عليه السلام بجهادك لنفسك واستقامتك على الجادة الصالحة،
فاحذر من تضييع الفرصة، فتكون وحيداً لا ناصر له ولا معين، وكن
واثقاً من أنَّ التزامك بالإسلام المحمَّديّ الأصيل سيجعلك في ركب
صاحب الزمان (أرواحنا لتراب مقدمه الفداء)، فتربح نفسك ودنياك
وآخرتك مظللاً برضوان الله تعالى.

عن أبي بصير، عن الإمام الصادق عليه السلام - في قول الله عزَّ وجلَّ:
﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ
كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ (الأنعام: 158) - : يعني خروجُ القائم المنتظر
منَّا، ثمَّ قال عليه السلام: يا أبا بصير، طوبى لشيعه قائمنا، المنتظرين
لظهوره في غيبته، والمطيعين له في ظهوره، أولئك أولياء الله الذين
لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون»⁽²⁾.

(1) الأمالي، الشيخ الطوسي، ص 685.

(2) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص 357.

يرتبط ظهور الإمام المهديّ ﷺ بأحداث عالميّة كبرى، ومتغيّرات كثيرة في منطقتنا، يواكبها صراع قويّ بين الاستقامة والفساد، بين المعروف والمنكر، وتخرج دعوات باطلة مسوّغةً لنفسها أن تحرف الإسلام عن مساره باسمه. ومع أنّ المؤمنين في حالة ضعف إذا ما قورنت قوّتهم بقدرة غيرهم، ومحاصرون بالظلم المحليّ والعالميّ، إلّا أنّ فعاليّة انتظارهم مرتبطة بجهادهم واستعداداتهم في هذا الاتجاه، فلا يكفي الدعاء والتمنّي؛ لأنّ أنصار الحجّة ﷺ هم المجاهدون المستعدّون للتضحية، وهم الممهّدون لذلك بسلوكهم حيث يقتضي ذلك.

• من بيت المقدس إلى إيران

عندما تتحدّث الروايات عن الجماعة المختارة التي تكون جزءاً من حركة الظهور، تذكّر ثباتهم على الجهاد، وصمودهم أمام التضحيات، ومناصرتهم للدين بقتال الأعداء، وعدم الاستكانة لهم، وذلك على الرغم من التحديّات والمواجهات والخذلان وعدم النصر؛ فمن نموذجهم جماعةٌ ببيت المقدس، وأكناف بيت المقدس؛ أي في محيطه في فلسطين ولبنان... فعن رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوّهم قاهرين، لا يضرّهم

مَنْ خالفهم، إلّا ما أصابهم من لأواء⁽¹⁾ حتّى يأتيهم أمر الله وهم كذلك، قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: بيت المقدس، وأكناف بيت المقدس»⁽²⁾.

ومن نموذجهم أيضاً، طائفة في بلاد إيران تقاتل لإحياء الدين ونصرة الحق، فتكون عطاءاتها وتضحياتها ذخيرة لمصلحة الظهور: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على أبواب بيت المقدس وما حولها، وعلى أبواب الطالقان وما حولها، لا يبالون مَنْ خذلهم، ولا مَنْ نصرهم، حتّى يُخرج الله كنزه من الطالقان، فيحيي به دينه كما أُميّت من قبل»⁽³⁾.

إنّ هذه الجماعة متميّزة بجهادها في كلّ المواقع التي تتواجد فيها، وهي تدافع عن حقوق الأمّة بما يشمل أراضيها واستقلالها وعزّتها وكرامتها، فهي مرابطة على ثغور المسلمين تدافع عنهم، وعلى الرغم من هضم الآخرين لحقوقها، فإنّها ثابتة على خطّ الرسالة الإسلاميّة، وهي مع منهج محمّد ﷺ، فعن رسول الله ﷺ: «سيكون بعدي ناس من أمتي يسدّ الله بهم الثغور، يؤخذ منهم الحقوق، ولا يعطون حقوقهم، أولئك منّي وأنا منهم»⁽⁴⁾.

(1) مشقّة.

(2) مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، ج1، ص58.

(3) عقد الدرر في أخبار المنتظر، المقدسي، ص122.

(4) كنز العمال، المتقي الهندي، ج12، ص182.

• تجارة مُنجية

إنَّه المسار المتكامل نحو الهدف، الذي لا يمكن الوصول إليه من دون الجهاد، فهو التجارة الرابحة مع الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الصف: 10 - 13).

وإذا تلکَا الإنسان ثم ارتدَّ عن مسار الحق، فلن تخلو الأرض من المؤمنين المخلصين المحبين لله تعالى، فالحجَّة على الناس موجودة دائماً، وخطَّ الإسلام منتصر في نهاية المطاف، بالثلة المؤمنة المجاهدة: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (المائدة: 54).

إنَّ القتال لإحقاق الحق قائم إلى يوم القيامة من المؤمنين المجاهدين، ففي الحديث: «لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم، إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك»⁽¹⁾. ومن الطبيعي أن يكون كذلك لإقامة دولة الإسلام العالمية على يد الإمام المهدي عليه السلام:

(1) مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، ج1، ص58.

«ولا يزال من أمتي ناس يقاتلون على الحق، ويزيغ الله بهم قلوب أقوام، حتّى يأتي وعد الله»⁽¹⁾.

• التربية الجهادية

إنَّ الظهور مقرون بالجهاد، فالممهدون أنصار القائم عج قومٌ مؤمنون مقاتلون مبايعون من أجل الحق بأنفسهم وأموالهم، وهم مطيعون لولي أمرهم ليكونوا منسجمين مع حركة الجماعة الواحدة التي تسعى نحو الهدف، ولا يتصرفون بعشوائية أو غوغائية، وإنما يهيئون العدة المناسبة، ويعملون وفق منهجية واضحة؛ إنهم شجعان في ساحات الاختبار، ولا يخافون في الله لومة لائم.

إنَّ التربية الجهادية لا تنفصل عن نصره الإسلام، والعمل في سبيل الله تعالى، وانتظار قائم آل محمد عج، فهي التي تؤدي إلى أن تسمو بالنفس لترتبط بالملكوت الأعلى، وتعطي للدنيا حجمها الحقيقي كمتاع زائل في مقابل المتاع الأبدي في الآخرة، وتقوّي العزيمة لمواجهة التحديات مهما كثرت وعظمت، وتثبت الجماعة المؤمنة في مقابل الاستكبار والانحراف والشرك والظلم، وتواكب حركة الظهور الشريف؛ إنَّها التربية الجهادية المطلوبة من كل الأمة بمختلف فئاتها ومستوياتها وأعمار أفرادها؛ ليبذل كل واحد منهم في حقله ومجاله ما يساهم في مسيرة الإسلام المحمّديّ الأصيل؛ ليكون بعد ذلك في رحاب راية صاحب الأمر (أرواحنا لتراب مقدمه الفداء).

(1) المعجم الكبير، الطبراني، ج7، ص52.

تَحْتَمِلُ الْأُمَّةُ مَسْئُولِيَّتَهَا بِنَصْرَةِ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ ﷺ زَمَنَ ظُهُورِهِ،
بِحَيْثُ يَكُونُ الْجَمِيعُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالشُّبُوحِ وَالْأَطْفَالِ فِي هَذَا
الرَّكْبِ، وَهُوَ مَا نَتَلَمَّسُهُ بِوُضُوحٍ فِي الرِّسَالَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي اتَّجَهَتْ
إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَإِلَى الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ
ذَكَرَ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: 97). كَمَا يَرَى الْإِسْلَامُ مَوْقِعَ الصَّلَاحِ وَالِدَعْوَةِ إِلَى اللَّهِ
تَعَالَى يَشْمَلُ الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ فِي دَعْمِ الْمَسِيرَةِ الْإِلَهِيَّةِ، قَالَ تَعَالَى:
﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنَتِينَ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ
وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ
وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ
اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: 35).

هَذِهِ الْمَسْئُولِيَّةُ بِالنَّصْرَةِ، وَهَذَا الدَّورُ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ
وَإِقَامَةِ الْعَدْلِ عَلَى الْأَرْضِ، يَنْطَبِقَانِ أَيْضًا فِي زَمَنِ الْغَيْبَةِ، وَفِي عَصْرِ
الظُّهُورِ، بِحَيْثُ يَعْمَلُ أَفْرَادُ الْمَجْتَمَعِ كَافَّةً لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ الدِّينِ. وَمِنْ
الطَّبِيعِيِّ أَنْ تَخْتَلِفَ مَهَامُ الْأَفْرَادِ بِاخْتِلَافِ إِمْكَانَاتِهِمْ وَأَدْوَارِهِمْ، فَكَمَا
رَأَيْنَا هَذَا الْخِتْلَافَ فِي تَصَدِّي الرِّجَالِ بِشَكْلِ عَامٍّ لِلْقِيَادَةِ بِحَسَبِ
الْمَقَوِّمَاتِ الَّتِي أَوْدَعَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ، وَالْمَسْئُولِيَّةِ الَّتِي أَلْقَاهَا
عَلَى عَاتِقِهِمْ، تَصَدَّتِ النِّسَاءُ لِلْأُمُورِ الْمَجْتَمَعِيَّةِ الْآخَرَى وَالْبَيْئَةِ

الحاضنة لنمو الحضور الإسلاميّ الأصيل، انسجاماً مع ما أعطاهنّ الله تعالى من إمكانيات، وما كلّفهنّ به من دور.

• الرجال في نصرة الإمام عليه السلام

وفي الحديث عن القادة الذين يلتحقون بالإمام المهديّ عليه السلام في مكّة المكرمة، رواياتٌ عدّة، وبصيغ مختلفة، تؤكّد وجود عدّة أهل بدر من الرجال، ومنها ما عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «ألا إنّهُ أشبه الناس خَلْقاً وَخُلُقاً وَحُسناً برسول الله صلى الله عليه وآله، ألا أدلّكم على رجاله وعددهم؟ ثمّ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أوّلهم من البصرة، وآخرهم من اليمامة. وجعل عليّ عليه السلام يعدّ رجال المهديّ عليه السلام والناس يكتبون... ثمّ قال عليه السلام: أحصاهم لي رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً بعدد أصحاب بدر، يجمعهم الله من مشرقها إلى مغربها، في أقلّ ممّا يتمّ الرّجل عشاءه، عند بيت الله الحرام (إلى أن قال): كأني أنظر إليهم، والزيّ واحد، والقدر واحد، والجمال واحد، واللباس واحد، كأنما يطلبون شيئاً ضاع منهم، فهم متحيّرون في أمرهم، حتّى يخرج إليهم من تحت ستار الكعبة في آخرها، رجلٌ أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله خَلْقاً وَخُلُقاً وَحُسناً وجمالاً، فيقولون: أنت المهديّ؟

فيحيبهم ويقول: أنا المهديّ»⁽¹⁾.

تبين هذه الرواية أموراً عدّة، منها:

أولاً: إنّ اجتماع ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً نقطة الانطلاق لظهور الإمام عليه السلام وخروجه عليهم لبدء حركته.

(1) الملاحم والفتن، السيد ابن طاووس، ص294.

ثانياً: يأتون من أمصار متعدّدة، ثمّ يعودون إلى أماكنهم وأماكن أخرى بحسب ما يكلفهم به الإمام (عليه السلام)، وهم في حركة دائمة كقيادة ميدانية.

ثالثاً: تعطي مظاهرهم المشتركة من الزيّ والقُدّ والجمال واللباس الإيحاء بدورهم العسكري المرتبط بالقيادة.

رابعاً: يتحمّلون مسؤوليّة الإدارة الشعبية الواسعة بناء لتعاليم الإمام (عليه السلام).

• والنساء.. في نصرة الإمام (عليه السلام)

تناسب المهام المذكورة أعلاه مع الرجل، والروايات تدعم هذا الاتجاه، فقد ورد عن أبي عبد الله (عليه السلام): «يكون مع القائم (عليه السلام) ثلاث عشرة امرأة. فسأله أحد أصحابه: وما يصنع بهنّ؟ قال (عليه السلام): يدوين الجرحى، ويقمن على المرضى، كما كان مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)»⁽¹⁾. ثمّ ذكر الإمام بعض أسماء النساء ممّن عاصرن رسول الله (صلى الله عليه وآله)؛ ما يدلّ على أنّ الرواية لا تتحدّث عن القادة، وإنّما عن نموذج لدور المرأة، يتكرّر مع نساء أخريات بحسب الظروف والزمان.

كما وردت رواية واحدة ضعيفة في تفسير العياشي، أذكرها للاطلاع فقط: عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر (عليه السلام): «... والله، ثلاثمئة وبضعة عشر رجلاً فيهم خمسون امرأة، يجتمعون بمكة على غير ميعاد، قزعاً كقزع الخريف، يتبع بعضهم بعضاً، وهي الآية التي قال الله: أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ

(1) دلائل الإمامة، محمّد بن جرير الطبري (الشيعة)، ص484.

شئٍ قديرٍ» (البقرة: 148)⁽¹⁾. تعارضها رواية أخرى صحيحة ليس فيها هذا التفصيل، وهي عن الإمام الجواد عليه السلام: «... ويجتمع إليه من أصحابه عدة أهل بدر: ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أقاصي الأرض، وذلك قول الله عز وجل: ﴿أَيُّنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾»⁽²⁾؛ ما يؤكد المبنى أعلاه، وهو وجود متطلبات القيادة السياسية والعسكرية والميدانية التي تقع على عاتق الرجل، خاصة بوجودهم ومسؤوليتهم المباشرة بإمرة الإمام القائم عليه السلام.

أمّا المرأة فهي جزء لا يتجزأ من نصرة هذا الدين، وتأكيد دوره ومسيرته، وتربية الأمة لدفعها في هذا الاتجاه؛ ولذا، فهي تتواجد في مواقع أخرى قيادية وغير قيادية، ولا زالت الأمة، وستبقى تنهل من معين سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، ومن بطولات السيّدة زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام، وعطاءات المجاهدات عبر التاريخ وفي الزمن الحاضر، وكذا سيكون الأمر في المستقبل في الموقع المتقدم لنسائنا العزيزات في ساحات جهادهنّ، انسجاماً مع وظيفتهنّ في الاقتداء والالتزام بأوامر الإمام المهديّ عليه السلام لنصرة الإسلام وإقامة العدل على الأرض.

(1) تفسير العيّاشيّ، العيّاشيّ، ج1، ص65.

(2) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص378.

ختم الله النبوة بمحمد ﷺ، الذي نشر الإسلام بقوة الدليل والبيان، وكمال الدين، وحماه ودافع عنه بجهاد المشركين والأعداء، فتكاملت الدعوة مع السيف، وحققَت حضوراً وأمةً تنعم بخيرات هذا الدين. وختم الله الأئمة بالمهدي ﷺ، الذي يعيد للإسلام أصالته وحيويته وانتشاره؛ لتنعم الأمة والعالم بعدله.

عن الإمام الباقر عليه السلام: «إذا قام قائم أهل البيت، قسَم بالسوية، وعدل في الرعية، فَمَن أطاعه فقد أطاع الله، ومَن عصاه فقد عصى الله. وإنما سَمِّي المهديّ مهديّاً؛ لأنّه يهدي إلى أمر خفيّ، ويستخرج التوراة وسائر كتب الله عزّ وجلّ من غار بأنطاكية، ويحكم بين أهل التوراة بالتوراة، وبين أهل الإنجيل بالإنجيل، وبين أهل الزبور بالزبور، وبين أهل القرآن بالقرآن، وتُجمع إليه أموال الدنيا من بطن الأرض وظهرها، فيقول للناس: تعالوا إلى ما قطعتم فيه الأرحام، وسفكتم فيه الدماء الحرام، وركبتم فيه ما حرّم الله عزّ وجلّ، فيعطي شيئاً لم يعطه أحد كان قبله، ويملأ الأرض عدلاً وقسطاً ونوراً، كما ملئت ظلاماً وجوراً وشرّاً»⁽¹⁾.

(1) الغيبة، النعماني، ص 237.

• ثلّة ممهّدة

إنّ الوصول إلى الظهور لا يتمّ من دون ثلّة مؤمنة مجاهدة تمهّد له، وتمام الظهور ونشر العدل لا يتمّان من دون قتال وجهاد ضدّ الأعداء، فكما بدأ الدين بالدعوة يحميها السيف، كذلك يكون ختمها بالدعوة يحميها السيف. فقد أثبتت القرون السابقة أنّ تكالب الأمم على هذه الأمة أفقدها الكثير من قدراتها وإمكاناتها ومكانتها، ولم يكن الأمر كذلك عندما سارت في درب الجهاد، وستتغيّر الظروف مع العودة إلى الجهاد.

ومع أنّ الأساس هو الالتزام بإمامة خاتم الأئمّة عليه السلام، ومن ينتظره بشروط الانتظار يفزّ إن شاء الله، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ مات منتظراً لهذا الأمر، كان كمن كان مع القائم في فسطاطه، لا بل كان كالضارب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف»⁽¹⁾. إلّا أنّ التربية على الجهاد، والاستعداد له، والبقاء في ساحته، أمور ملازمة لهذا الانتظار، كما كانت ملازمة للإسلام من بدايته وفي أصل تعاليمه.

فإذا ظنّ بعضهم أنّ هذا الاهتمام بالجهاد حالة استثنائية بسبب الظهور، أحلناه إلى الآيات والروايات وأقوال الأئمّة عليهم السلام التي تدعو إلى الجهاد، وتؤكد عليه كأصل في حمل هذا الدين ونصرته.

• ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ﴾

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ

(1) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص338.

يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿التوبة/111﴾، وهي دعوة صريحة لأربعة أمور مترابطة:

الأول: بيع المؤمنين لأنفسهم وأموالهم في سبيل الله، وهو عقد يجري بالشراء من الله تعالى لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى﴾، وهذا الأمر ينطبق على جميع المؤمنين مصاحباً لإيمانهم من بداية الطريق.

الثاني: ﴿يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، فيترجمون عقدهم بشكل عملي في ساحات الجهاد كلما تطلبت ذلك منهم، وهي ليست مرتبطة بحقبة زمنية أو ظروف طارئة، وإنما هي الساحات بكل ما تمثله من حضور للإسلام والمسلمين في مواجهة أعدائهم.

الثالث: ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾؛ إذ أن النتيجة غير محسومة، فيقتلون وهذا ما يؤدي إلى النصر، ويقتلون وهو ما يؤدي إلى الشهادة، وفي ذلك تعبير عن التكليف والمسؤولية بصرف النظر عن النتائج.

الرابع: ﴿لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾؛ لأنهم قاموا بما عليهم من جهاد في سبيل الله تعالى.

ونظراً إلى أهمية الجهاد ودور المجاهدين، فقد كرم الله المجاهدين بباب مستقل لهم في الجنة يدخلون منه، وجعل تارك الجهاد خاسراً في معيشتة ودينه، فعن رسول الله ﷺ: «للجنة باب يُقال له: باب المجاهدين، يمضون إليه فإذا هو مفتوح، وهم

متقلّدون بسيوفهم، والجمع في الموقف، والملائكة ترحب بهم. ثم قال: فَمَنْ ترك الجهاد ألبسه الله عزّ وجلّ ذلّاً وفقراً في معيشتة، ومحققاً في دينه، إنّ الله عزّ وجلّ أغنى أمّتي بسنابك خيلها ومراكز رماحها»⁽¹⁾.

• باب من أبواب الجنة

ولسنا ببعيدين عن خطبة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام المشهورة عن الجهاد؛ إذ قال في مطلعها: «أما بعد، فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصّة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنته الوثيقة، فَمَنْ تركه رغبةً عنه، ألبسه الله ثوب الذلّ، وشمله البلاء»⁽²⁾.

فلنشحذ هممنا لنبقى في ساحة الجهاد، تمهيداً للظهور، وتعجيلاً للفرج، والتزاماً بالتكليف، فالخير كلّ الخير أن تتكاتف جهودنا ونحن صامدون في مواجهة التحدّيات، ومع أنّها اليوم أصعب من السابق، لكنّها تؤكّد أكثر من أيّ وقت مضى على أهميّة الجهاد والثبات عليه، لوضوح نتيجة التخاذل في سيطرة أعداء البشريّة من المستكبرين على الأمّة ومقدّراتها وخيرات العالم، وهؤلاء لا يرحمون، ولا يرون الدنيا إلّا غاية آمالهم، ولو سحقوا الجميع لتحقيق أطماعهم ورغباتهم.

(1) الكافي، الشيخ الكليني، ج 5، ص 7.

(2) نهج البلاغة، الخطبة 27.

حدّثنا الروايات الواردة عن النبي الأكرم ﷺ والأئمة الأطهار ﷺ عن مستوى أنصار الإمام المهديّ ﷺ، لجهة تمسّكهم بالولاية، وثباتهم على نهجها، وتحملهم للدفاع عنها، ومواجهتهم لأعدائها؛ إنَّهم يمثلون الثلّة المؤمنة المجاهدة في بحر الكفر المتلاطم بأنواع الانحراف والطغيان، وهم الذين بلغ عشقهم وشوقهم إلى الإمام ﷺ مبلغاً عظيماً، جعلهم يتألّقون في مواقفهم الجريئة لنصرة الحقّ، ويتمسّكون بقيادتهم الغائبة عنهم كما لو كانت بين ظهرائهم، وهذا ما أوصلهم إلى الرّضا بكلّ أبعاده، الذي يؤدّي إلى رضا أهل البيت ﷺ عن شيعتهم وأنصارهم. وهؤلاء هم:

أولاً: الثابتون على الولاية: عن الإمام الكاظم ﷺ: «طوبى لشيعتنا، المتمسّكين بحبلنا في غيبة قائمنا، الثابتين على موالاتنا والبراءة من أعدائنا، أولئك منّا ونحن منهم، قد رضوا بنا أئمة، ورضينا بهم شيعة، فطوبى لهم، ثمّ طوبى لهم، وهم والله معنا في درجاتنا يوم القيامة»⁽¹⁾.

إنّ الثبات على ولاية أهل البيت ﷺ يُبقي الخطّ متقدّماً ومنيراً، بحيث يستمرّ هذا النهج الأصيل من خلال أنصاره، الذين يحملون صفاته الخيرّة، ويصمدون أمام المتغيّرات الكثيرة، ويساهمون

(1) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص361.

في تهيئة أرضية الانتظار؛ ما يجعل الفرّج لصاحب العصر والزمان (أرواحنا لتراب مقدمه الفداء)، فعن الإمام العسكري عليه السلام - يمثل الإمام المهدي عليه السلام بالخضر وذو القرنين - قال: «مَثَلُهُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ كَالْخَضِرِ وَذِي الْقَرْنَيْنِ، لِيُغَيِّبَنَّ غَيْبَةً لَا يَنْجُو مِنَ الْهَلَكَةِ فِيهَا إِلَّا مَنْ ثَبَّتَهُ اللَّهُ عَلَى الْقَوْلِ بِإِمَامَتِهِ، وَوَقَّعَهُ الدَّعَاءَ بِتَعْجِيلِ فَرَجِهِ»⁽¹⁾.

ثانياً: لا يرتابون: يستخدم الكفر كلّ أسلحته، ويستثير الأهواء، ويحرّك الغرائز، ويسخر مغريات الحياة الدنيا لترويج الانحراف، ويسيطر على البلاد والعباد، ويمارس ضغوطاً نفسية هائلة؛ ذلك كلّه لزرع الشكّ في نفوس المؤمنين وأصحاب الفطرة السليمة، ومتى اهتزّ الإيمان، دخل الشيطان إلى القلب والنفس والعقل من كلّ مجال، لكنّ أنصار الحجّة لا يرتابون، وهم متمسكون بالحجّة ابن الحسن عليه السلام، لم يروه بأعينهم، لكنهم آمنوا به وكأنّه معهم.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «أقرب ما يكون العبادُ من الله جلّ ذكره، وأرضى ما يكون عنهم، إذا افتقدوا حجّة الله عزّ وجلّ، ولم يظهر لهم، ولم يعلموا مكانه، وهم في ذلك يعلمون أنّه لم تبطل حجّة الله جلّ ذكره ولا ميثاقه، فعندها فتوقّعوا الفرّج صباحاً ومساءً. فإنّ أشدّ ما يكون غضبُ الله على أعدائه إذا افتقدوا حجّته ولم يظهر لهم، وقد علم أنّ أولياءه لا يرتابون، ولو علم أنّهم يرتابون ما غيَّب حجّته عنهم طرفة عين»⁽²⁾.

(1) الصراط المستقيم، علي بن يونس العاملي النباطي البياضي، ج2، ص232.

(2) تحف العقول، ابن شعبة الحرّاني، ص388.

ثالثاً: أقوىاء اليقين: إِنَّ يقين أنصار الحجة ﷺ ناشئ عن ثباتهم على الولاية، وعدم ريبتهم، إلى درجة الوضوح الكامل، فلا وجود لأي نكتة سلبية في العقل أو القلب، بل اطمئنان كامل، ويقين حقيقي بإمامهم وحجتهم وسبب خلاصهم؛ الإمام المهدي ﷺ. وفي تفسير اليقين، «جاء جبرائيل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إِنَّ الله تبارك وتعالى أرسلني إليك بهدية، ولم يُعْطَها أحدٌ من قبلك.

قال رسول الله ﷺ: قلت: وما هي؟ قال: الصبر وأحسن منه.

قلت: وما هو؟ قال: الرضا وأحسن منه.

قلت: وما هو؟ قال: الزهد وأحسن منه.

قلت: وما هو؟ قال: الإخلاص وأحسن منه.

قلت: وما هو؟ قال: اليقين وأحسن منه.

قلت وما هو: قال جبرائيل: إِنَّ مدرجة ذلك التوكل على الله عزَّ

وجل... إلى أن سألته النبي ﷺ: فما تفسير اليقين؟

قال: الموقن يعمل لله كأنه يراه، فإن لم يكن يرى الله فإن الله يراه، وأن يعلم يقيناً أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وهذا كله أغصان التوكل، ومدرجة الزهد»⁽¹⁾.

الثابتون على ولاية أهل البيت ﷺ يعيشون اليقين بالظهور، ولولا ذلك لما عُدُّوا من أصحاب الإمام ﷺ، فعن الإمام زين العابدين ﷺ: «... فلا يثبت عليه إلّا من قوي يقينه، وصحَّت

(1) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، ص261.

معرفته، ولم يجد في نفسه حرجاً ممّا قضينا، وسلّم لنا أهل البيت⁽¹⁾.

رابعاً: أصحاء المعرفة: المعرفة الصحيحة هي التي تنطلق من الإيمان بالله تعالى، وتتبع قرآنه، والاقتداء بنبيه الأكرم ﷺ وأئمة الأطهار عليهم السلام. أصحاء المعرفة لا تزيع عقولهم ولا قلوبهم، عرفوا الحق فاطمأنوا إليه، وسلّكوا طريقه؛ وتعلّموا من نهج الإسلام، فانقشعت بصيرتهم على الهداية. إنّ أنصار الإمام المهديّ عليه السلام هم الذين عقدوا قلوبهم على معرفة ثابتة، وانسجم فعلهم مع قولهم بسبب هذه المعرفة، ووافق سرهم علانيّتهم بسببها أيضاً.

عن الإمام الكاظم عليه السلام: «يا هشام، إنّ الله عزّ وجلّ حكى عن قوم صالحين أنّهم قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (آل عمران: 8)، حين علموا أنّ القلوب تزيع وتعود إلى عماها ورداها (هلاکها). إنّهُ لم يخف الله من لم يعقل عن الله، ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ويجد حقيقتها في قلبه»⁽²⁾.

(1) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص324.

(2) تحف العقول، ابن شعبة الحرّاني، ص388.

حدّدت بعض الروايات أماكن تواجد أنصار الإمام المهدي ﷺ، وكما يظهر فإنّ بعض البلدان العربية ومنها الشام التي تشمل فلسطين ولبنان وسوريا والأردن، ومنها مصر والعراق وغيرهما، وبعض البلدان الإسلاميّة وعلى رأسها خراسان أو المشرق (أي إيران بشكل عام)، ما يُبيّن أن مسرح حركة الإمام المهدي ﷺ هي منطقتنا، التي ستكون منطلقاً لحركته، حيث يدعمه أنصاره فيها، ويسيرون تحت لوائه، فيعمل لتحقيق العدالة العالمية على الأرض.

• رايات المهدي ﷺ

عن خراسان، قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من قبل خراسان، فأتوها، فإنّ فيها خليفة الله المهدي»⁽¹⁾. وفي رواية أخرى عنه ﷺ: «تجيء الرايات السود من المشرق، كأنّ قلوبهم زبر الحديد، فمن سمع بهم فليأتهم، فيبايعهم ولو حبواً على الثلج»⁽²⁾.

من الواضح أنّ راية الخراسانيّ ومن معه صلبة في موقفها الإيمانيّ الأصيل، تقاتل من أجل الحقّ، وتناصر الإمام المهدي ﷺ خير نصرة.

(1) مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، ج5، ص277.

(2) كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، ابن أبي الفتح الأربليّ، ج3، ص273.

وعن بعض البلدان العربيّة، تعطي الروايات توصيفاً للأنصار من كلّ بلد، فالنجباء من مصر، والأبدال من الشام، والأخيار من أهل العراق، وفي روايات أخرى عصائب أهل العراق.

عن أبي جعفر (عليه السلام): «يباع القائم بين الركن والمقام ثلاثمئة ونيف عدّة أهل بدر، فيهم النجباء من أهل مصر، والأبدال من أهل الشام، والأخيار من أهل العراق، فيقيم ما شاء الله أن يقيم»⁽¹⁾.

• هؤلاء شيعتنا حقّاً

عن منطقة جبل عامل ومحيطها، تحدّث الرواية عن بلدة الشقيف وما يحيط بها، ونحن نقل الرواية كما جاءت في كتاب (أمل الآمل)، للعلامة الشيخ الحرّ العاملي، الذي خصّص كتابه لذكر نبذة عن سيرة علماء الشيعة في البلدان المختلفة، مبتدئاً بعلماء جبل عامل، وفي مقدّمته رواية تتحدّث عن صفات أنصار الإمام المهديّ (عليه السلام) رجالاً ونساء، وعن أخلاقهم وحسن أدائهم، وعن صمودهم، وحفظ وجودهم في أرضهم.

جاء في ما كتبه العلامة الحرّ العاملي:

«ما وجدته بخطّ بعض علمائنا، ونقل أنّه وجده بخطّ الشهيد الأوّل، نقلاً من خطّ ابن بابويه، عن الصادق (عليه السلام)، أنّه سئل كيف يكون حال النّاس في حال قيام القائم (عليه السلام)، وفي حال غيبته،

(1) الغيبة، الشيخ الطوسي، ص 476.

وَمَنْ أَوْلِيَاؤُهُ وَشِيعَتُهُ، مِنَ الْمَصَابِينَ مِنْهُمْ، الْمَثْمُثِينَ أَمْرَ أَثْمَتِهِمْ،
وَالْمَقْتَفِينَ لِأَثَارِهِمْ، وَالْآخِذِينَ بِأَقْوَالِهِمْ؟

قال عليه السلام: بلدة بالشام.

قيل: يا بن رسول الله، إِنَّ أَعْمَالَ الشَّامِ مُتَّسِعَةٌ؟

قال: بلدة بأعمال الشقيف أرنون⁽¹⁾، وبيوت وربوع تعرف
بسواحل البحار وأوطئة الجبال.

قيل: يا بن رسول الله، هؤلاء شيعتكم؟

قال عليه السلام: هؤلاء شيعتنا حقاً، وهم أنصارنا، وإخواننا، والمواسون
لغريتنا، والحافظون لسرّنا، اللينة قلوبهم لنا، والقاسية قلوبهم
على أعدائنا، وهم كسكان السفينة في حال غيبتنا، تمحلّ البلاد
دون بلادهم، ولا يصابون بالصواعق، يأمرّون بالمعروف وينهون
عن المنكر، ويعرفون حقوق الله، ويساؤون بين إخوانهم، أولئك
المرحومون، المغفور لحبّهم وميّتهم، وذكرهم وأنثاهم، ولأسودهم
وأبيضهم، وحرّهم وعبدتهم، وإنّ فيهم رجالاً ينتظرون، والله يحبّ
المنتظرين»⁽²⁾.

ومما مرّ، نستنتج أنّ الصفات المشتركة لأنصار الإمام المهديّ عليه السلام
في البلدان المختلفة هي التي تدلّ عليهم، فهم مجاهدون يقاتلون
في سبيل الله تعالى لنصرة الحقّ، وينتظرون ظهور الإمام المهديّ عليه السلام

(1) ورد في بعض النسخ كلمة «أوتون» بدل «أرنون»، ولعلّها من التصحيف الذي حصل أثناء
النقل أو الطباعة.

(2) أمل الآمل، الحرّ العامليّ، ج1، ص15 و16.

ليسيروا معه وتحت لوائه، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر،
ويصبرون على البلاء، ويقدمون النموذج الإسلاميّ الأصيل في فكرهم
وسلوكلهم، فحيثما وجدنا هذه الصفات أدركنا أنصاره وأعوانه، جعلنا
الله تعالى منهم، وثبتنا على ولاية الإمام الحجة المنتظر عليه السلام.



ادَّخَرَ اللهُ تعالى للأمة صاحبَ العصر والزمان المهديَّ المنتظر ﷺ إلى آخر الزَّمان؛ ليكون المنقذ، والقائد، والحاكم بالعدل على مستوى المعمورة، والموجَّه إلى طريق السعادة الأبدية. فغيبته كالشمس التي يحجبها السحاب، حيث تعمُّ بركاتُ وجوده وانتظاره مصحوبةً بأمل الفرج وإقامة الدين. وهذا ما يُلقى علينا مسؤولية تجهيز أنفسنا لتكون من جنده وأعوانه؛ ما يستلزم سلوكاً وآداباً للتصرّف حيال هذا الحدث العظيم.

ولعلَّ أبرز الآداب التي تنسجم مع الانتظار ما يلي:

• معرفة أهداف الانتظار

ذكر السيّد ابن طاووس في زيارة صاحب الزمان ﷺ، في يوم الجمعة، وهو اليوم الذي يظهر فيه: «السَّلامُ عَلَيْكَ يَا حُجَّةَ اللهِ فِي أَرْضِهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا عَيْنَ اللهِ فِي خَلْقِهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا نُورَ اللهِ الَّذِي يَهْتَدِي بِهِ الْمُهْتَدُونَ، وَيُفَرِّجُ بِهِ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ»⁽¹⁾.

هذه الصفات تتحدّث عن الأهداف المنشودة من انتظار الإمام المهديّ ﷺ، فهو حُجَّةُ اللهِ في أرضه، وَمَنْ لم يُوفَّق للإيمان والارتباط بهذه الحُجَّة فقد خسر خسراناً مبيناً، وابتعد عن جادة

(1) جمال الأسبوع، السيّد ابن طاووس، ص41.

الصَّوَاب. وهو عين الله في خلقه، يرى المؤمن من خلاله عظمة الخالق، وضرورة العشق له، والارتباط بنهجه تحقيقاً لرضاه. وهو نور الله الذي يهتدي به المهتدون، وهل لأحد هدايةً من دون هذا النور؟ وأي ربحٍ يحقُّه أولئك البعيدون عن إشعاعات هذا النور؟ وهو باب الفرج، الذي يفتح الطريق إلى الهداية والفلاح والنصر والثواب وكلَّ الخيرات، في الدنيا والآخرة.

• التَقَرُّبُ بِآلِ الْبَيْتِ ﷺ

ذكر السيّد ابن طاووس، في زيارة صاحب الزمان، المشار إليها سابقاً: «أَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِكَ وَبِآلِ بَيْتِكَ، وَأَنْتَظِرُ ظُهُورَكَ وَظُهُورَ الْحَقِّ عَلَى يَدَيْكَ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ يَجْعَلَنِي مِنَ الْمُنتَظِرِينَ لَكَ، وَالتَّابِعِينَ وَالتَّاصِرِينَ لَكَ عَلَى أَعْدَائِكَ، وَالْمُسْتَشْهِدِينَ بَيْنَ يَدَيْكَ فِي جُمْلَةِ أَوْلِيَاكَ»⁽¹⁾.

إنَّ التَقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِآلِ الْبَيْتِ ﷺ وسيلةُ النجاةِ بِمَنْ خُلِقَ الْكَوْنُ لأجلهم، وتعبيراً عن خيار السلوك إلى الحبيب بأحبائه، ودرجةً عاليةً من التفاني مع الأطهار للعروج إلى الكمال. ولهذا التَقَرُّبُ ترجمة عملية من خلال: انتظار الظهور لإظهار الحق ونشر العدل على يد الإمام المهديّ ﷺ، والعبور من الانتظار إلى الاتّباع والنصرة في مواجهة الأعداء، والاستعداد الكامل للشهادة مع أولياء الله بقيادة وليّ الله الأعظم الحجّة المنتظر ﷺ. وسرعان ما تظهر آثار التَقَرُّبِ بِآلِ الْبَيْتِ ﷺ من خلال الفهم والسلوك والمسار

(1) أمل الآمل، مصدر سابق، ص42.

العمليّ؛ وذلك لتثبيت منهجهم في كلّ مفاصل الحياة الخاصّة والعامة.

• تجديد العهد

نستيقظ في كلّ يوم جديد، لنستقبل الحياة من جديد، وما نذكره في الصّباح يساعدنا على مسار اليوم بأكمله، فلنفتتح صباحنا بتجديد العهد للإمام المهديّ عليه السلام، حيث ينعكس هذا التجديد على يومنا باختيار خطّ الولاية، ويضاف إلى أيّامنا الأخرى التي راكناها في البيعة، التي تتجذّر في حياتنا وأدائنا كلّما طال بنا الزمن ونحن بالانتظار.

عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «من دعا إلى الله أربعين صباحاً بهذا العهد، كان من أنصار قائمنا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَجِدُ لَكَ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِي هَذَا، وَمَا عَشْتُ مِنْ أَيَّامِي، عَهْداً وَعَقْداً وَبَيْعَةً لَكَ فِي عُنُقِي، لَا أَحُولُ عَنْهَا وَلَا أَزُولُ أَبَداً. اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ أَنْصَارِهِ وَأَعْوَانِهِ، وَالذَّائِبِينَ عَنْهُ، وَالْمَسَارِعِينَ إِلَيْهِ فِي قِضَاءِ حَوَائِجِهِ، وَالْمَحَامِينَ عَنْهُ، وَالسَّابِقِينَ إِلَى إِرَادَتِهِ، وَالْمُسْتَشْهِدِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ»⁽¹⁾.

• العبادة لله تعالى

أولى خطوات التجهيز لسلوك درب الولاية والطاعة لله تعالى أداء العبادات، فهي التي تصقل الشخصية المؤمنة، وترقى بها إلى المستوى اللائق للالتحاق بأنصار الإمام المهديّ عليه السلام. ولذا يتميز أصحاب المهديّ عليه السلام بقيام الليل، الذي يشحنهم بقوة مواجهة

(1) بحار الأنوار، العلامة المجلسيّ، ج 53، ص 96.

أعداء الله تعالى، وهم الذين ينيرون طريق الهدى للناس، ويحملون أرواحهم على أكفهم في سبيل الله تعالى، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «رجالٌ لا ينامون الليل، لهم دويٌّ في صلاتهم كدويِّ النحل، يبيتون قياماً على أطرافهم، ويصبحون على خيولهم، رهبانٌ بالليل ليوثٌ بالنهار، هم أطوعُ له من الأمة لسيدها، كالمصابيح، كأنَّ قلوبهم القناديل، وهم من خشية الله مشفقون، يدعون بالشهادة، ويتمنَّون أن يُقتلوا في سبيل الله»⁽¹⁾.

• الورع ومحاسن الأخلاق

عن الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْقَائِمِ، فَلْيَنْتَظِرْ، وَلْيَعْمَلْ بِالْوَرَعِ وَمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ وَهُوَ مُنْتَظَرٌ، فَإِنْ مَاتَ وَقَامَ الْقَائِمُ بَعْدَهُ، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ أَدْرَكَهُ، فَجَدُّوا وَانْتَظَرُوا، هَنِيئاً لَكُمْ أَيُّهَا الْعَصَابَةُ الْمَرْحُومَةُ»⁽²⁾.

من آداب الغيبة، ألا يدَّعي المرء ولايته لصاحب الزمان عليه السلام، إلا إذا كان من أصحاب الصفات الإيمانية التي تحيط بها التقوى والورع، وتتجلَّى في محاسن الأخلاق في العلاقة مع الناس، ليكون قدوةً حقيقيَّةً في مجتمعه، ونموذجاً عملياً لأنصار القائم عليه السلام، فأنصاره هم المؤمنون المجاهدون وأصحاب الأخلاق السَّماحاء، فهم موسومون بالآداب الإسلاميَّة في السلوك بدافع الورع، وهذا ما يؤهلهم ليكونوا من أنصاره وأعوانه عليه السلام.

(1) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج 52، ص 308.

(2) الغيبة، النعماني، ص 207.

• إحياء أمرهم ﷺ

إنَّ إحياء أمر الأئمة ﷺ هو الترجمة العملية للاقتداء بهم وترويج منهجهم، وهو المؤشّر على مدى الارتباط بهم، فعن الإمام الصادق ﷺ لفُضيل: «فأحيوا أمرنا - يا فُضيل - فرَحِمَ الله مَنْ أحيّا أمرنا»⁽¹⁾. ومن المعلوم أنَّ الإكثار في ذكر أمرٍ ما، هو التعبير العمليّ عن الحبِّ والتفاعل، ومن أقلّ الوفاء والأدب مع وليّ أمرنا المُعظَّم أن نُكثر ذكره ونحيي أمره، بذكر سيرته، وتأكيد ارتباطنا به في غيبته، وانتظار ظهوره، ونشر تعاليمه، والأنس بما ورد عنه.

(1) مصادقة الإخوان، الشيخ الصدوق، ص32.



كيف تكون مهّداً؟

13

إنَّ الممهّدين من أنصار الإمام المهديّ ﷺ يتميَّزون بالصفات الإسلاميَّة اعتقاداً وقولاً وعملاً، وحياتهم العملية تدلُّ بشكل مباشر على حقيقتهم وأهليَّتهم.

نذكر بعض الصفات الأساسيَّة التي يُساعد توفُّرها في المؤمن أن يكون من جند الإمام ﷺ وأعوانه قبل ظهوره، وعندها لا فرق بين أن يلحق به أو أن يموت قبل ذلك:

أولاً: الصبر: الدنيا دار بلاء ليميز الله الخبيث من الطيب، وكلّما زاد الإيمان زاد البلاء، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ (محمد: 31)، وقد ذُكر عند أبي عبد الله عليه السلام البلاء، وما يخصّ الله عزَّ وجلَّ به المؤمن، فقال: «سئل رسول الله ﷺ: مَنْ أَشَدَّ النَّاسَ بَلَاءً فِي الدُّنْيَا؟ فَقَالَ: النَّبِيُّونَ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، وَيَبْتَلِي الْمُؤْمِنَ بَعْدَ عَلَى قَدَرِ إِيْمَانِهِ وَحَسَنِ أَعْمَالِهِ، فَمَنْ صَحَّ إِيْمَانُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَمَنْ سَخِفَ إِيْمَانُهُ، وَضَعُفَ عَمَلُهُ قَلَّ بَلَاؤُهُ»⁽¹⁾. ولا يخفى ما لغيبة وليّ الأمر الإمام المهديّ ﷺ من صعوبة ومرارة، فثبات الإيمان مع غيبة المهديّ ﷺ صبر إيجابي يؤتي ثماره في حياة الإنسان، فعن رسول الله ﷺ: «لَا يَثْبُتُ عَلَى الْقَوْلِ بِإِمَامَتِهِ إِلَّا مَنْ امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيْمَانِ»⁽²⁾.

(1) الكافي، الشيخ الكليني، ج2، ص252.

(2) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ص242.

أضف إلى ذلك، فنون الفساد المتنوعة التي غزت البيوت، واقتحمت المحرّمات؛ ما يجعل قيمة المؤمن الصّابر في هذا الزمان عظيمة عند الله تعالى.

ثانياً: البعد عن الهوى: هل الانتظار إلّا توقّر الأهلّة الإيمانيّة في الفرد ليكون جنديّاً مستعدّاً لطاعة الله! وكلّما بذل جهداً أكبر لمعاداة هواه، ونجح في تنمية تقواه، وعمل في خطّ الجهاد، كلّما انطبقت عليه صفات الموالة التي تضمن له الالتحاق بركب الهداية والقيادة، فعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «الزموا الأرض، واصبروا على البلاء، ولا تحرّكوا بأيديكم وسيوفكم في هوى ألسنتكم، ولا تستعجلوا بما لم يعجله الله لكم، فإنّه من مات منكم على فراشه، وهو على معرفة حقّ ربه، وحقّ رسوله وأهل بيته عليه السلام، مات شهيداً، ووقع أجره على الله، واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله، وقامت النية مقام إصلاّته لسيّفه، وإنّ لكلّ شيء مدّة وأجلاً»⁽¹⁾.

ثالثاً: التمسك بالإسلام: إنّنا نواجه اليوم هجمة عدوانيّة شرسة على الإسلام، حيث يريد الكفر العالميّ إلغاء صورته ومضمونه. فإذا تمسّكنا بهذا الدين وأصالته على الرغم من كلّ التحدّيات، وإذا بقينا مدافعين عن تعاليمه مهما قلّ الناصرون، فإنّنا منتصرون بإذن الله تعالى.

فقد انتصرت الثورة الإسلاميّة المباركة في إيران، ودحرت المقاومة الإسلاميّة في لبنان أعداء البشريّة «إسرائيل»، بالتمسك بهدي الإسلام وأنوار النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام.

(1) نهج البلاغة، الخطبة 190.

عن رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ لَقْنِي إِخْوَانِي. قالها مرتين، فقال مَنْ حوله مِنْ أصحابه: أَمَا نحن إخوانك، يا رسول الله؟! فقال: لا، إِنَّكُمْ أصحابي، وإخواني قوم في آخر الزمان آمنوا بي ولم يروني... لأحدهم أَشَدُّ بَقِيَّةً على دينه من خطر القتاد⁽¹⁾ في الليلة الظلماء، أو كالقابض على جمر الغضا!...»⁽²⁾.

رابعاً: معرفة إمام الزمان: في الحديث: «مَنْ مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»⁽³⁾. سواء أكان الإمام حياً حاضراً أم غائباً مستوراً، ولا يصح الاكتفاء بالشأن الفردي في الالتزام الإسلامي، بل يجب البحث عن الدور والتكليف في شؤون الأمة والمجتمع، في قضايا المسلمين وحاجاتهم، وهذا ما يحتاج إلى القيادة التي ترسم الأدوار، وتحدد الأهداف المرحلية العملية، وتُبرئ ذمة المكلف في القيام بما عليه.

فمع غياب الإمام، يكون الارتباط بالموالين له، والعارفين بأحكام الشريعة، وهذا ما يجعلنا نرتبط بولي أمر الأمة، نائب الإمام الحجة ﷺ، الولي الفقيه الإمام الخامنئي رَحِمَهُ اللهُ، وبذلك نكون قد أسقطنا التكليف عن أنفسنا، وأحسنّا اختيار الطريق؛ «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله...»⁽⁴⁾.

(1) خطر القتاد: تقشير شجر فيه شوك كثير، مَثَلٌ يُعَبَّرُ به عن صعوبة الأمر.

(2) بصائر الدرجات، الصَّفَّار، ص104.

(3) الإيضاح، الفضل الفضل بن شاذان، هامش ص74.

(4) الغيبة، الشيخ الطوسي، ص291.

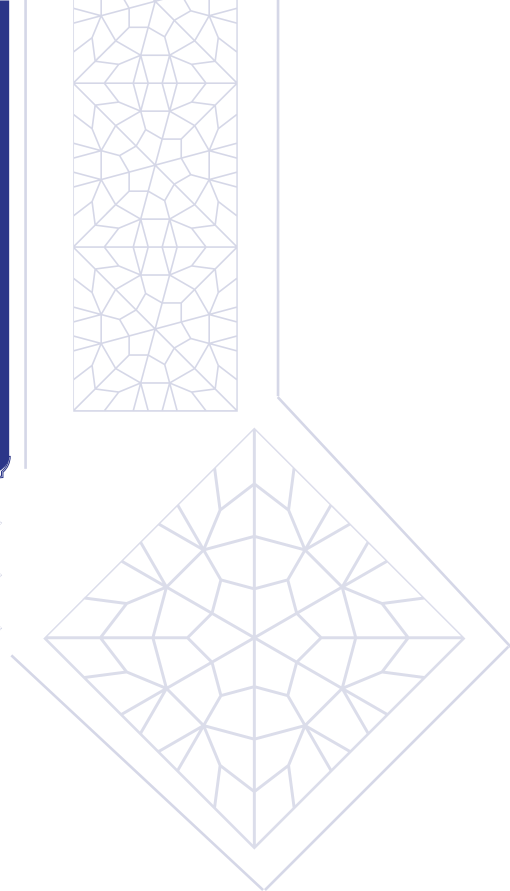
خامساً: الجهاد: الجهاد حماية للأمة من أعدائها، وهو الذي يمنع المستكبرين والمستعمرين من تحقيق أطماعهم في بلاد المسلمين. إنَّ صفات الموالين للإمام الحجة عليه السلام يتوجها الجهاد، فسيظهر في زمن يكثر فيه الظلم والفساد والطغيان والعدوان، فلا بدَّ من استعداد حقيقيّ لنصرته بالجهاد بين يديه، فقتال الصهاينة من أجل تحرير الأرض جزء مهمّ من عملية التمهيد الفعلية والواقعية. ففي تفسير قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ (المائدة: 54)، أنَّ الآية نزلت في القائم عليه السلام وأصحابه ⁽¹⁾.

سادساً: السلوك الصالح: لا يكفي أن يقتصر المسلم على إتقان عباداته بواجباتها ومستحباتها إذا لم تنعكس في أخلاقه ومعاملاته حُسنًا وصدقًا. فالمسلم المؤمن يتصرّف في حياته مع عائلته ومع المجتمع كما أمر الله تعالى، لا كما تهواه الأنفس ممّا يخالف شرع الله تعالى. وأعوان الإمام المهدي عليه السلام هم الذين يسلكون هذا الدرب؛ درب العبادة والعمل، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تنظروا إلى كثرة صلاتهم وصيامهم، وكثرة الحجّ والزكاة، وكثرة المعروف، وطننتهم بالليل، انظروا إلى صدق الحديث، وأداء الأمانة» ⁽²⁾.

(1) تفسير القمّي، عليّ بن إبراهيم القمّي، ج 1، ص 170.

(2) الاختصاص، الشيخ المفيد، ص 229.

الفصل الثالث



التتويج مسار الخلاص

وهل الدين إلا الحب؟

1

يحرص الإسلام على وجود علاقة الحب بين العبد وخالقه، وبين العبد والرسول ﷺ، وبين العبد وأئمة أهل البيت ؛ ذلك أن علاقة الحب تعبير عن المشاعر التي تتفاعل، فتولد اندفاعاً، وتضحيةً، وأنساً، وراحةً نفسيةً هي ضرورية للاستقرار الإنساني. فالفرق كبير جداً بين طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ والأئمة الأطهار  على أساس الأمر الذي يلزم المأمور، وبين الطاعة المجبولة بالحب، التي تحوّل السلوك والعمل إلى مسارٍ تغمره اللذة والسعادة. ومع الحب يأتي الأمر من الحبيب أحلى من العسل المصفى، وتزول حواجز الشيطان، ويحلو الأنس بالرحمن، وتصبح قدوة النبي ﷺ والأئمة  هدايةً نحو النور برغبةٍ وشوق.

• أنت مع مَنْ أحببت

عن الإمام الباقر : «وهل الدين إلا الحب؟ قال الله تعالى: ﴿حَبَبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانُ وَرَبَّيْتَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات:7)، وقال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران:31)، وقال: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ (الحشر:9)، إِنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فقال: يا رسول الله، أحبُّ المصلين ولا أصلي، وأحبُّ الصَّوَّامِينَ ولا أصوم (الصوم والصلاة المستحبان). فقال له رسول الله ﷺ: أَنْتَ مع مَنْ أَحْبَبْتَ، وَلَكَ مَا اكْتَسَبْتَ»⁽¹⁾.

(1) الكافي، الشيخ الكليني، ج8، ص80.

من هنا نفهم معنى انسجام الدين مع الفطرة الإنسانية، وسمو المؤمن إلى الدرجات العليا عندما ينفذُ تعاليم الدين. أطلق - أيها المؤمن - العنانَ لقلبك كي يتزوّد من كلام الله تعالى في القرآن الكريم ما يخالط اللحم والدم والفكر والجوارح، وعوّده ليتعلّق بخالقه حبّاً وهياماً، وأرشده إلى النبي الأكرم ﷺ الذي يستحوذُ على القلوب بعظمته وعبادته وجهاده ورقّيه، وذكّره بالأئمة الأطهار ﷺ، فهم شعلة الحبّ نحو الحياة الأبدية في أروع عطاءاتها، واجعل انتظارك للإمام المهديّ ﷺ مدخلاً إلى الطمأنينة في مسار الدنيا نحو الخير والصلاح والعدل وعلو المؤمنين.

• محبة أهل البيت هي الضمانة

طريق الحبّ مفتاح قبول الأعمال، ومحبة أهل البيت ﷺ ضمانة القبول الأكيدة، فعن رسول الله ﷺ: «الزموا مودّتنا أهل البيت، فإنّه من لقي الله بودّنا دخل الجنة بشفاعتنا، فوالذي نفسُ محمّدٍ بيده، لا ينفّع عبداً عمله إلّا بمعرفتنا»⁽¹⁾. فلا تُتعب نفسك بكثرة الحركة وبذل الجهد الكبير إذا لم يكونا مقرونين بالحبّ والموّدة لأهل البيت ﷺ، واعلم أنّك مع حبّهم ومودّتهم تريح الكثير، وتختصر الطريق، وتضاعف أعمالك، ثمّ تلقى القبول عند مليكٍ مقتدر.

لاحظ معي ما ذكره القرآن الكريم على لسان النبي ﷺ من طلب المودة من المؤمنين لأهل البيت ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ

(1) الأمالي، الشيخ المفيد، ص140.

لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴿الشورى: 23﴾. ولا يعبر هذا الطلب عن أي حاجة لرسول الله ﷺ من المؤمنين، فمكانته عند الله تعالى ومكانه أهل البيت ﷺ تُغنيهم عن كل ما عداه، ولكن المودة ثمرة للمؤمنين يتزودون منها، وقد روي عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ في قوله تعالى: «﴿أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (الشورى: 23): أن تحفظوني في أهل بيتي، وتودّوهم بي»⁽¹⁾. ومؤدّى الحفظ والمودة أن يقترب المؤمنون منهم، ويتفاعلون معهم، ويتزودون من بركاتهم، ويكتسبون سلوكهم... فالمودة خيرات للمؤمنين.

ذكر العلامة الشيخ محمد رضا المظفر في كتابه عقائد الإمامية، عن عقيدتنا في حب آل البيت ﷺ: «قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (الشورى: 23)، نعتقد أنه زيادة على وجوب التمسك بآل البيت، يجب على كل مسلم أن يدين بحبهم ومودّتهم؛ لأنه تعالى في هذه الآية المذكورة حَصَرَ المسؤول عليه الناس في المودة في القربى»⁽²⁾. هذا هو الطريق الآمن باتجاه الاستقامة، والحسرة على من لم يهتد إليه مع هذا التوجيه القرآني، ومع ما حفلت به الروايات من التأكيد على العلاقة بآل البيت ﷺ.

• محبة أهل البيت ﷺ طريق الخلاص

لقد بيّن الرسول ﷺ أن حبه وحب آل البيت ﷺ هو المقياس

(1) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، ج6، ص7.

(2) عقائد الإمامية، الشيخ المظفر، ص72.

لقبول الإيمان، ولا معنى لإيمانٍ غير مصحوب بهذا الحب، الذي يؤدي إلى ذوبان النفس المؤمنة في ذات الحبيب، وإنما يكون وجودها بهذا الحب، متلازماً مع الإيمان، قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن عبدٌ حتى أكون أحبَّ إليه من نفسه، وأهلي أحبَّ إليه من أهله، وعترتي أحبَّ إليه من عترته، وذاتي أحبَّ إليه من ذاته»⁽¹⁾. لماذا؟ لأنه لا معنى للحبِّ من دون تضحية في سبيله، والمحَبُّ يبذل لحبيبه ممَّا يحبُّ، من دون طلبٍ للبدل. والمطلوب أن نبذل في سبيل الله تعالى، وأن يكون حبنا لنبيِّنا أكثر من حبنا لأنفسنا؛ لأنَّ مَنْ أحبَّ نفسه عاش الأنانيَّة، وانجرف مع ملذَّاته، أمَّا من أحبَّ نبيَّه، وآثره على نفسه، استقام بطاعته، وبذا يربح نفسه أيضاً. ومَنْ أحبَّ عترة أهل البيت ﷺ أكثر من أهله، قدَّمهم كقدوة، وواجه أهله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودعاهم إلى الاقتداء بهم ﷺ، فحبُّهم يؤدِّي إلى الحبِّ النافع لأهله بربطهم بآل البيت ﷺ.

بالحبِّ للنبيِّ وآله ﷺ نسلك طريق الخلاص: «إنَّ مكانة النبيِّ عظمة عند الله تعالى، فهو الأوَّل والأرقى بين البشر، وهو خاتم الأنبياء والرسل وسيدهم جميعاً، وقد أمرنا الله تعالى أن نصلي عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: 56)، وجعل الصلاة عليه وعلى آله جزءاً لا يتجزأ من التشهد والتسليم، في الصلوات اليومية وكلِّ

(1) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص414.

الصلوات الواجبة والمستحبة. فآل البيت خلاصة هذا الوجود، وهم الأوائل في عصمتهم ومكانتهم وكرامتهم، وهم القدوة والقيادة «مثل أهل بيتي كسفينة نوح، مَنْ ركبها نجا، وَمَنْ تخَلَّف عنها غرق»⁽¹⁾.

فلنعمل لما يعزِّز إيماننا، فعن رسول الله ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ طَعْمَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ كَانَ يَحِبُّ الْمَرْءَ لَا يَحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَمَنْ كَانَ يُلْقَى فِي النَّارِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مَنْ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ»⁽²⁾.

• الحبُّ والولاية للإمام المهديّ ﷺ

الحبُّ علاقة عاطفية تنبع من القلب تجاه المحبوب، وتحقق الأُنس والراحة عند لقائه، فإذا كان الله هو المحبوب، فقد تعلَّق الإنسان بمصدر الحبِّ ومؤنس المأنوسين، وإذا بادل الله عبده الحبَّ فقد سما، قال تعالى عن المؤمنين الذي يحبُّهم ويحبُّونه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ۚ أُولَٰئِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكُمْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (المائدة: 54). ليس الحبُّ مجرد علاقة عاطفية، فهو بلسم الروح، ونور الحياة، وعون الجوارح، ورضوان الآخرة.

(1) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج 23، ص 135.

(2) روضة الواعظين، الفتال النيسابوري، ص 417.

تنسحب علاقة الحب من الله تعالى إلى رسوله ﷺ، ويُترجم الحب بالاتباع والطاعة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (آل عمران: 31)؛ ثم من الرسول ﷺ إلى الأئمة (عليهم السلام)، وخاصة خاتمهم الإمام المهدي (عجل الله فرجه). فارتباطنا بقيادته ليس ارتباطاً آلياً، ولا بين الرعية وحاكمهم، إنما هو ارتباط الحبيب بالمحبيب، ارتباط القلب والجوارح وكل كيان الإنسان بصاحب العصر والزمان. يحدونا الشوق في غيبته إلى لقائه، وكأننا عطاشى ننتظر الماء ليروينا ولا شيء غيره يمكن أن يروينا، فهو المدافع عن مظلوميتنا، والهامي لساحتنا، والأمل المنتظر لعزتنا وقيام دولة الحق. نذكره فيشتعل القلب بذكره، نذكره في كل أحوالنا وكأننا نضجُ بالطلب إلى الله تعالى أن يعجلَ الفرج في كل لحظة، هو حياتنا ورجاؤنا وأملنا، وهو أنيس وحشتنا في طاعة الله تعالى.

عن الإمام الباقر، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى إِلَيَّ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي: يَا مُحَمَّدُ، مَنْ خَلَفْتَ فِي الْأَرْضِ فِي أَمْتِكَ - وَهُوَ أَعْلَمُ بِذَلِكَ - ؟

قلت: يا رب، أخي.

قال: يا مُحَمَّدُ، عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟

قلت: نعم، يا رب.

قال: يا مُحَمَّدُ، إِنِّي أَطَّلَعْتُ إِلَى الْأَرْضِ أَطْلَاعَةً فَاخْتَرْتُكَ مِنْهَا، فَلَا أَذْكَرُ حَتَّى تُذَكِّرَ مَعِيَ، فَأَنَا الْمَحْمُودُ وَأَنْتَ مُحَمَّدٌ، ثُمَّ إِنِّي أَطَّلَعْتُ إِلَى الْأَرْضِ أَطْلَاعَةً أُخْرَى فَاخْتَرْتُ مِنْهَا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَجَعَلْتُهُ

وصيِّك، فأنت سيّد الأنبياء وعليّ سيّد الأوصياء، ثمّ شققتُ له اسماً من أسمائي، فأنا الأعلى وهو عليّ. يا محمّد، إنّي خلقتُ عليّاً وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة من نورٍ واحد، ثمّ عرضتُ ولايتهم على الملائكة، فمَن قَبِلَها كان من المقرّبين، ومَن جردها كان من الكافرين. يا محمّد، لو أنّ عبداً من عبادي عبدني حتّى ينقطع، ثمّ لقيني جاحداً لولايتهم، أدخلته ناري. ثمّ قال: يا محمّد، أتحبُّ أن تراهم؟ فقلتُ: نعم. فقال: تقدّم أمامك.

فتقدمتُ أمامي فإذا عليّ بن أبي طالب، والحسن، والحسين، وعليّ بن الحسين، ومحمّد بن عليّ، وجعفر بن محمّد، وموسى بن جعفر، وعليّ بن موسى، ومحمّد بن علي، وعلي بن محمّد، والحسن بن عليّ، والحجّة القائم كأنّه الكوكب الدرّي في وسطهم، فقلتُ: يا ربّ، مَن هؤلاء؟

قال: هؤلاء الأئمّة، وهذا القائم، محلّل حلالِي، ومحرمّ حرامِي، وينتقمُ من أعدائي. يا محمّد، أحبه فإني أحبه، وأحبُّ مَن يُحبه»⁽¹⁾. لا بدّ من أن يكون القلب مملوءاً بالحبّ، على مفترق طرق بين حُبِّين: حبّ الدنيا وملذاتها، أو حبّ الله تعالى ورسوله والجهاد في سبيله. ولا نجاة إلّا للفريق الثاني، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة: 24).

(1) الغيبة، النعماني، ص 94 - 95.

فإذا اخترت حبَّ الله تعالى ورسوله والأئمة عليهم السلام، فسيقود هذا الحبُّ إلى الولاية والطاعة لإمامك صاحب العصر والزمان (أرواحنا لتراب مقدمه الفداء)؛ إذ بالولاية تستقيم حياتك، فالحلال ما أحلَّه وهو ما أحلَّه الله ورسوله، والحرام ما حرَّمه وهو ما حرَّمه الله ورسوله، وعندها أنت حبيبه وحبيب الله ورسوله. وهذه هي السعادة الحقيقيَّة في محضر العشق الربَّانيِّ والنبويِّ والإماميِّ، وهذه هي طريق الرضوان في جنَّة الخلد.

• الحبُّ مقرون بالولاية والعمل

عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عن الإمام الحسين عليه السلام قال: «قال لي أبي: قال أخي رسول الله ﷺ: مَنْ سرَّه أن يلقى الله تعالى مقبلاً عليه غير مُعرِّض عنه، فليوالِ عليّاً، وَمَنْ سرَّه أن يلقى الله تعالى وهو عنه راضٍ، فليوالِ ابنه الحسن عليه السلام، وَمَنْ أحبَّ أن يلقى الله تعالى وهو لا خوف عليه، فليوالِ ابنه الحسين عليه السلام، (ثم ذكر الأئمة عليهم السلام) (إلى أن قال): ومن أحبَّ أن يلقى الله وقد كَمَلَ إيمانه وحَسَنَ إسلامه، فليوالِ الحجة صاحب الزمان، القائم المنتظر المهديَّ محمد بن الحسن، فهؤلاء مصابيح الدجى، وأئمة الهدى، وأعلام النقى، فَمَنْ أحبَّهم وتولَّاهم كنْتَ ضامناً له على الله الجنة»⁽¹⁾.

فإذا أردت أن تختبر نفسك، فانظر إلى قلبك، فإن كان يحبُّ أهل طاعة الله تعالى، فأنت في خطِّ الولاية مع الإمام المهديَّ عليه السلام، وإلا

(1) الفضائل، شاذان بن جبرائيل القمي، ص 166 - 167.

فراجع حساباتك؛ إذ لا حَبَّ إلَّا إذا كان مصحوباً بالولاية والعمل،
فعن أبي جعفر عليه السلام: «إذا أردت أن تعلم أنَّ فيك خيراً فانظر إلى
قلبك، فإن كان يحبُّ أهلَ طاعةِ الله ويُبغِضُ أهلَ معصيته ففبك
خير، والله يُحبُّك، وإن كان يُبغِضُ أهلَ طاعةِ الله ويحبُّ أهلَ
معصيته فليس فيك خير، والله يُبغِضُك، والمرء مع مَنْ أحبَّ»⁽¹⁾.

(1) الكافي، الشيخ الكليني، ج2، ص126 - 127.



هل من سبيل لتعجيل الظهور؟

الدعاء باب من أبواب فرج مولانا صاحب العصر والزمان عليه السلام، وقد أمرنا الله تعالى بالدعاء، ووعدنا بالاستجابة، خاصةً عندما يكون الدعاء بشروطه التي تستتبع الإجابة؛ من الإيمان، وإخلاص النيّة، والثقة بعطاء الله تعالى، وتعلّق القلب بمصدر العطاء... ومن أهمّ أسلحة المؤمن أمام شدة الزمان على أهله، وكثرة الظلم والفساد، وقلة أنصار الحقّ، الدعاء لله تعالى بالفرج القريب العاجل كلمح البصر أو أقرب من ذلك.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: 60)، كما عدّ جلّ وعلا الاهتمام الإلهي بالمخلوقين يترتب على دعائهم له، قال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ (الفرقان: 77). فالدعاء باب السؤال لفتح طريق الإجابة؛ إذ توجد أمور لا يمكن تحقيقها أو استعجالها إلّا بالدعاء. وبما أنّ الدعاء لله تعالى مصدر كلّ عطاء، فإنّ إجابة الطلب يحققها الله تعالى لعبده المؤمن بإحدى طرق ثلاث: إمّا في تعجيل إجابة الدعاء، أو رفع البلاء، أو زيادة حسنات الآخرة.

• باب الرحمة الإلهية

اعلم أيّها المؤمن، أنّها نعمة كبرى أن يأذن الله تعالى لك بالدعاء

الذي يفتح باب الرحمة الإلهية، فعن رسول الله ﷺ: «أفضل العبادة الدعاء، فإذا أذن الله للعبد في الدعاء فتح له باب الرحمة، إنه لن يهلك مع الدعاء أحد»⁽¹⁾.

من المحتوم أن فرج مولانا المهدي ﷺ فرجٌ للأمة ولل البشرية جمعاء، ولا نجزم بتوقيت هذا الفرج، لكنّ دعاءنا بفرجه وفرجنا معه يساعد في التعجيل، وعلى الرغم من رغبتنا في تعجيل الظهور لبقية الله الأعظم ﷺ، فإنّ للأمور سياقها وشروطها وظروفها التي لا نعلمها، والله أعلم بها، فما علينا إلّا العمل والانتظار والدعاء بالفرج، فهذا هو تكليفنا، وما توفيقنا إلّا بالله العليّ العظيم.

ورد في الدعاء: «اللّهم ارزقني حُبَّ محمّدٍ وآل محمّد، وتوفّني على ولايتهم، اللّهمّ العن ظالمي آل محمّدٍ حقّهم، وانتقم منهم، اللّهمّ عجل فرج وليّك وابن وليّك، واجعل فرجنا مقروناً بفرجهم، يا أرحم الرّاحمين»⁽²⁾.

• صلة بين العبد وربّه

الدعاء صلة بين العبد وربّه، يريح العبد ويطمئنه إلى أنّه أودع مطالبه عند مليك مقتدر، فما بالك إذا كان الدعاء على مستوى فرج مولانا صاحب العصر والزمان ﷺ، الذي تُفتح بظهوره كلّ خزائن الخيرات، ويعمّ العدل والسلام كلّ المعمورة، ويسود حكم الإسلام البشرية، ويطمئنّ المؤمنون إلى سلامة القيادة وحكمتها واقتدارها!

(1) وسائل الشيعة (آل البيت)، الجزء العاملي، ج7، ص31.

(2) المقنعة، الشيخ المفيد، ص487.

كُلُّ دَعَاءٍ قَلِيلٌ ومحدود الآثار أمام دعاء الفرج الذي تعمُّ خيراته البشرية. وإذا كان الله تعالى يفتح خزائنه لإجابة أيِّ دعاء، فكيف لو اجتمع المؤمنون من كلِّ أقطار الأرض ولهجوا بالدعاء بالفرج صباحاً ومساءً وفي كلِّ حال من أحوالهم! أوصى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ابنه الإمام الحسن عليه السلام فقال: «... واعلم أنَّ الذي بيده خزائن السماوات والأرض قد أذن لك في الدعاء، وتكفل لك بالإجابة، وأمرَكَ أن تسأله ليعطيك، وتسترحمه ليرحمك، ولم يجعل بينك وبينه مَنْ يُحجبه عنك، ولم يُلجئكَ إلى مَنْ يشفع لك إليه... ثمَّ جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك من مسألته، فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمته...»⁽¹⁾.

• أدعية الفرج

لقد وردت أدعية كثيرة ترتبط بالفرج، منها ما هو منسوب إلى الإمام الحجّة عليه السلام، ومنها ما هو وارد عن النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام. وقد تعنوت بعناوين مختلفة، كدعاء الفرج، ودعاء المهدي، ودعاء الحجّة، ودعاء الاستغاثة بالحجّة، والدعاء لإمام العصر والزمان، ودعاء العهد، وغيرها... وهي أدعية تدعو إلى الفرج، وتدعو إلى تحلّي المؤمنين بصفات الإيمان والطاعة والتوفيق، وترتبط بينها في تأكيد واضح على التلازم بين وجود الثلّة المؤمنة المجاهدة وتعجيل فرج مولانا عليه السلام. كما توجد أدعية أخرى لا تحمل عنوان الدعاء بالفرج، لكنّها تحمل في طيّاتها هذا الطلب.

(1) نهج البلاغة، الوصيّة 31.

وإذ أكدنا على تلازم صفات الإيمان مع الفرج، فكُلُّ دعاء للصالح يؤدي إلى تعجيله، وإن كان المطلوب أيضاً أن ندعو بشكل دائم بفرج مولانا عليه السلام، فعن الإمام الحجة عليه السلام في ما وقَّعه بخطه: «وأكثرُوا الدعاء بتعجيل الفرج، فإنَّ في ذلك فرجكم»⁽¹⁾.

فالإ المزيد من تهيئة الزاد لهذه المهمة العظيمة، مدعومة بالدعاء والطلب من العلي القدير أن يعجل فرج مولانا صاحب العصر والزمان (أرواحنا لتراب مقدمه الفداء).

• الدعاء توجيهُ للمنتظرين

تحمل الأدعية الواردة عن النبي عليه السلام والأئمة الأطهار عليهم السلام مضموناً توجيهياً وتربوياً يساعد المؤمن على تبصُّر طريقه إلى الله تعالى، بمفردات سلوكية في أدائه اليومي، تتراكم لتجعل منه ملتزماً بأحكام الشريعة الإسلامية المقدسة، محققاً بذلك انتماءه إلى الخطِّ الإلهي.

• اللهمَّ ارزقنا توفيق الطاعة

من الأدعية التي ترشدنا إلى هذا الهدف، الدعاء المنسوب إلى الإمام المهدي عليه السلام، وهو: «اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا تَوْفِيقَ الطَّاعَةِ، وَبُعْدَ الْمَعْصِيَةِ، وَصِدْقَ النَّبِيِّ، وَعِرْفَانَ الْحُرْمَةِ، وَكَرِّمْنَا بِالْهُدَى وَالِاسْتِقَامَةِ، وَسَدِّدْ أَلْسِنَتَنَا بِالصَّوَابِ وَالْحِكْمَةِ، وَامْلَأ قُلُوبَنَا بِالْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَطَهِّرْ بَطُونَنَا مِنَ الْحَرَامِ وَالشُّبْهَةِ، وَاكْفُفْ أَيْدِيَنَا عَنِ الظُّلْمِ وَالسَّرِقَةِ، وَاغْضُضْ أَبْصَارَنَا عَنِ الْفُجُورِ وَالْخِيَانَةِ، وَاسْدُدْ أَسْمَاعَنَا عَنِ اللَّغْوِ

(1) الغيبة، الشيخ الطوسي، ص 293.

وَالْغَيْبَةِ، وَتَفَضَّلَ عَلَى عُلَمَائِنَا بِالزُّهْدِ وَالنَّصِيحَةِ، وَعَلَى الْمُتَعَلِّمِينَ
بِالْجَهْدِ وَالرَّغْبَةِ، وَعَلَى الْمُسْتَمِيعِينَ بِالِاتِّبَاعِ وَالْمَوْعِظَةِ، وَعَلَى مَرْضَى
الْمُسْلِمِينَ بِالشِّفَاءِ وَالرَّاحَةِ، وَعَلَى مَوَاتِهِم بِالرَّافَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَعَلَى
مَشَائِخِنَا بِالْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ، وَعَلَى الشَّبَابِ بِالْإِنَابَةِ وَالتَّوْبَةِ، وَعَلَى
النِّسَاءِ بِالْحَيَاءِ وَالْعِفَّةِ، وَعَلَى الْأَغْنِيَاءِ بِالتَّوَاضُّعِ وَالسَّعَةِ، وَعَلَى
الْفُقَرَاءِ بِالصَّبْرِ وَالْقَنَاعَةِ، وَعَلَى الْغَزَاةِ بِالنَّصْرِ وَالْغَلَبَةِ، وَعَلَى الْأَسْرَاءِ
بِالْخَلَاصِ وَالرَّاحَةِ، وَعَلَى الْأُمَرَاءِ بِالْعَدْلِ وَالشَّفَقَةِ، وَعَلَى الرَّعِيَّةِ
بِالْإِنصَافِ وَحُسْنِ السِّيَرَةِ، وَبَارِكْ لِلْحَجَّاجِ وَالزُّوَّارِ فِي الزَّادِ وَالنَّفَقَةِ،
وَاقْضِ مَا أَوْجَبَتْ عَلَيْهِمْ مِنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، بِفَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ يَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ»⁽¹⁾.

إذا لاحظت معي، فَإِنَّ الإمام المهديّ ﷺ يوجِّهنا في تفاعلنا
الروحيّ مع الله تعالى للالتزام بطاعته والابتعاد عن معصيته. وإنَّما
يتمّ ذلك على مستوى كلّ مؤمن بمجموعة من السلوكات، منها:
صدق النية، ومعرفة الحرام للابتعاد عنه، والاستقامة، والحكمة،
والمعرفة، وتجنُّب الشبهات والمحرمات، وغضّ البصر، والابتعاد عن
اللغو والغيبة.

ثمّ يطلب ﷺ من الله تعالى لكلّ صنف من أصناف الأمة ما
يصلح له حاله، فالزهد للعلماء، والجهد والرغبة للمتعلّمين كي
يتعلّموا، وحسنُ استماع الموعظة للمستمعين، والشفاء للمرضى،
والرحمة للموتى، والوقار والسكينة للكبار فهي علامات نجاحهم،

(1) البلد الأمين والدرع الحصين، الشيخ الكفعميّ، ص349.

والتوبة للشباب كي يستقيموا وتصلح حالهم، والعفة للنساء ما يؤدّي إلى استقامة المجتمع، والتواضع للأغنياء كي لا يتكبروا بما أنعم الله تعالى عليهم، والصبر للفقراء كي لا يخرجهم الفقر عن الطاعة، والنصر للمجاهدين، والتحرير للأسرى، وإقامة العدل للأمراء، وهكذا... لكلّ صنفٍ ما يصلحه.

• أنصاره هم المستقيمون

وإذا أمعنا النظر، فإنّ جند الإمام المهديّ ﷺ هم هؤلاء الذين يتحلّون بهذه الصفات، كلّ بحسبه، فإذا انطبقت على أيّ منّا صفة من هذه الصفات، ودعا الله تعالى ليوَفِّقه لأحسنها وأقومها، كان مؤهلاً في جند الإمام ﷺ؛ ذلك أنّ أنصاره هم المستقيمون على الإيمان بالله تعالى والطاعة له؛ أي على طريق الإسلام، وأيّ جهد نبذله خارج إطار الإيمان والطاعة لا ينفع في تحقيق الهدف المرجوّ في أن نكون مع الإمام المنتظر (أرواحنا لتراب مقدمه الفداء).

كما ورد في الدعاء في غيبة القائم ﷺ، أنّ طريق معرفة الله تعالى تكون بما عرفنا الله به، وهي تمرّ عبر معرفة أنبيائه ﷺ، وعلى رأسهم النبيّ محمّد ﷺ، ومنه إلى الأئمة الأطهار ﷺ، وآخرهم المهديّ ﷺ، فبهم نهتدي إلى الدين الحنيف، فإذا أصبحنا على الجادة المستقيمة، لا يضرنا تعجّل الفرج أم تأخّر، عندها لا ضرورة للاستعجال، فالفرج آتٍ في وقته المقرّر، وعلينا أن نصبر، ونتحمّل، ونفوض الأمر إلى الله تعالى مهما امتلأت الأرض بالجور، فالفرج قادم، والبشرى متحقّقة بإذنه تعالى.

ففي الرواية: «حدثنا أبو محمد الحسين بن أحمد المكتب قال: حدثنا أبو علي بن همام بهذا الدعاء، وذكر أن الشيخ العمري رحمته الله أملاه عليه، وأمره أن يدعو به، وهو الدعاء في غيبة القائم عليه السلام: «اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي نَفْسَكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ رَسُولَكَ، اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي رَسُولَكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفْ حُجَّتَكَ، اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي حُجَّتَكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ صَلَّيْتُ عَنْ دِينِي. اللَّهُمَّ لَا تُمِثْنِي مِثَّةَ جَاهِلِيَّةٍ، وَلَا تُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي. اللَّهُمَّ فَكَمَا هَدَيْتَنِي لَوْلَايَةِ مَنْ قَرَضْتَ طَاعَتَهُ عَلَيَّ مِنْ وُلَاةِ أَمْرِكَ بَعْدَ رَسُولِكَ صَلَوَاتِكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ، حَتَّى وَالَيْتُ وُلَاةَ أَمْرِكَ: أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَالْحَسَنَ، وَالْحُسَيْنَ، وَعَلِيًّا، وَمُحَمَّدًا، وَجَعَفَرًا، وَمُوسَى، وَعَلِيًّا، وَمُحَمَّدًا، وَعَلِيًّا، وَالْحَسَنَ، وَالْحُجَّةَ الْقَائِمَ الْمَهْدِيَّ صَلَوَاتِكَ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ. اللَّهُمَّ فَتَبَّتْنِي عَلَى دِينِكَ، وَاسْتَغْمِلْنِي بِطَاعَتِكَ، وَلِيْن قَلْبِي لَوْلِي أَمْرِكَ، وَعَافِنِي مِمَّا امْتَحَنْتَ بِهِ خَلْقَكَ، وَتَبَّتْنِي عَلَى طَاعَةِ وَلِي أَمْرِكَ الَّذِي سَتَرْتَهُ عَنْ خَلْقِكَ، وَبِإِذْنِكَ غَابَ عَنْ بَرِيَّتِكَ، وَأَمْرِكَ يَنْتَظِرُ، وَأَنْتَ الْعَالِمُ غَيْرُ الْمَعْلَمِ بِالْوَقْتِ الَّذِي فِيهِ صَلَاحُ أَمْرِ وَلِيِّكَ فِي الْإِذْنِ لَهُ بِإِظْهَارِ أَمْرِهِ وَكُشْفِ سِتْرِهِ، فَصَبِّرْنِي عَلَى ذَلِكَ حَتَّى لَا أَحِبَّ تَعْجِيلَ مَا أَخَّرْتَ، وَلَا تَأْخِيرَ مَا عَجَلْتَ، وَلَا كُشْفَ مَا سَتَرْتَ، وَلَا الْبَحْثَ عَمَّا كَتَمْتَ، وَلَا أَنْزَاعَكَ فِي تَدْبِيرِكَ، وَلَا أَقُولَ: لِمَ. وَكَيْفَ؟ وَمَا بَالُ وَلِيِّ الْأَمْرِ لَا يَظْهَرُ وَقَدْ امْتَلَأَتِ الْأَرْضُ مِنَ الْجَوْرِ؟ وَأَفْوُضُ أُمُورِي كُلَّهَا إِلَيْكَ...»⁽¹⁾.

(1) جمال الأسبوع، السيّد ابن طاووس، ص315.



3 مع الإمام المهدي ﷺ في زيارته

• صفوة المنتجبين

أورد ابن المشهدي في (المزار الكبير)، والشهيد الأول في (المزار)، والشيخ الكفعمي في (المصباح) و(البلد الأمين)، والشيخ القمي في (مفاتيح الجنان) زيارة للإمام الحجة ﷺ. وهي من الزيارات المستحبة، وفيها مضامين عظيمة، تربط المؤمنين بقائدهم المنتظر ﷺ، وتعرفهم إلى صفاته وكمالاته، وتؤدي أهدافاً تربوية مؤثرة في سلوك المحبين والمتفانين في سبيل الله تعالى.

تبدأ الزيارة بـ: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَلِيفَةَ اللَّهِ وَخَلِيفَةَ آبَائِهِ الْمَهْدِيِّينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَصِيَّ الْأَوْصِيَاءِ الْمَاضِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حَافِظَ أَسْرَارِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَقِيَّةَ اللَّهِ مِنَ الصَّفْوَةِ الْمُنتَجِبِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَنَ الْأَنْوَارِ الزَّاهِرَةِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَنَ الْأَعْلَامِ الْبَاهِرَةِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَنَ الْعِتْرَةِ الطَّاهِرَةِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَعْدِنَ الْعُلُومِ النَّبَوِيَّةِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَابَ اللَّهِ الَّذِي لَا يُؤْتَى إِلَّا مِنْهُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَبِيلَ اللَّهِ الَّذِي مَنْ سَلَكَ غَيْرَهُ هَلَكَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَازِلَ شَجَرَةِ طُوبَى وَسِدْرَةِ الْمُنتَهَى، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نُورَ اللَّهِ الَّذِي لَا يُطْفَأُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حُجَّةَ اللَّهِ الَّتِي لَا تَخْفَى، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حُجَّةَ اللَّهِ عَلَى مَنْ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ».

• السلام على النموذج الأرقى

التحية لخليفة الله تعالى وخليفة آبائه: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَلِيفَةَ الله، وَخَلِيفَةَ آبَائِهِ الْمَهْدِيِّينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَصِيَّ الْأَوْصِيَاءِ الْمَاضِينَ». السلام على النموذج الأرقى للبشرية، والمكلف من الله سبحانه وتعالى بالإمامة، لتفسير الرسالة الإسلامية، وتوضيحها، وقيادة المؤمنين لخلافة الأرض.

نُرسِلُ سلامنا إلى بقيّة الله تعالى في أرضه، ووارث الخلافة والدور والقدوة من الرسول ﷺ وآبائِهِ الْمَهْدِيِّينَ ﷺ، إلى الحلقة الأخيرة والحصريّة، وليّ الله الأعظم، في منعطف نهاية البشريّة من سلسلة ولادة الأمر الذين أوجب الله تعالى طاعتهم: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: 59).

فلا حياة من دون قيادة، ولا نجاة من دون الاقتداء بالوليّ، ولا استقامة من دون الموالاتة للإمام الحجّة ﷺ، ولا عدالة إلّا بإمرة البقية الباقية قائم آل محمّد ﷺ.

عن رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتّى يقوم قائمٌ للحقّ منّا، وذلك حين يأذن الله عزّ وجلّ له، فمن تبعه نجا، ومن تخلف عنه هلك... الله الله، عباد الله، فأتوه ولو على الثلج، فإنّه خليفة الله عزّ وجلّ وخليفتي»⁽¹⁾.

(1) عيون أخبار الرضا ﷺ، الشيخ الصدوق، ج2، ص65.

لقد واجه الأئمة عليهم السلام وأتباعهم الكفار والمنافقين، فحافظوا على الإسلام. ولكنَّ بعض التعاليم حُرِّف، وبعضها قُسر خلاف المقصود منه، وتفرقت الأئمة مذاهب وفرقاً شتى، ما أثر على نقاء الإسلام. وهنا يأتي دور الإمام المهدي عليه السلام.

فعن الإمام أبي عبد الله عليه السلام: «إذا قام القائم، دعا الناس إلى الإسلام جديداً، وهداهم إلى أمرٍ قد دُثر، فَصَلَ عنه الجمهور، وإِنَّمَا سُمِّيَ القائم مهدياً؛ لأنَّه يهدي إلى أمرٍ قد ضلُّوا عنه، وسُمِّيَ بالقائم لقيامه بالحق»⁽¹⁾.

• السلام على نور الهداية

«السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَنَ الْأَنْوَارِ الزَّاهِرَةِ»، الذي يستمدُّ نوره من نور الله تعالى، ﴿تَوَرَّى عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ (النور: 35). وكيف يهتدي الإنسان إلى طريقه في الظلمات الحالكة وأمراض النفس الشيطانية، لولا النور الإلهي المتجسّد بالنبوة والإمامة! هذه الأنوار التي تتميز بأنّها تزداد إشعاعاً وعطاءً. فكلّما أوغَلَ المؤمن في النور، كشفتْ بصيرته أنواراً متماهية لا انقطاع لها، تهدي المؤمن، وتحاكي رقة قلبه في تلقّيها والتفاعل معها.

ومن المعلوم أنَّ الأعلام تُرشد إلى الطريق، ولكنَّ الأئمة عليهم السلام أعلامٌ باهرة تَسحر الأبواب، وتشدُّ الأفتدة إليها، فإشاراتها تملك قدرة الجذب بدهشة المحبِّ، ونحن نسلّم على إمامنا خلاصة هذه الأعلام الباهرة: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَنَ الْأَعْلَامِ الْبَاهِرَةِ».

(1) الإرشاد، الشيخ المفيد، ج2، ص383.

«السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَنَ الْعِتْرَةِ الطَّاهِرَةِ»، فهذا السلام نتواصل مع العترة الطاهرة، التي تكون النجاة بها، والهداية بسببها، وجنة الخلد مضمونة بالارتباط بها. هذه العترة لا تنفك عن كتاب الله تعالى، فهما صنوان كمنهج وسلوك.

هل ندرك عظمة مَنْ نُخَاطَب، ونُسَلِّم عليه؟ هل نعلم معنى الارتباط به؟ هل ينقصنا أي شيء مع ورود الباب إلى النبع الفيّاض؟

• السلام عليك يا معدن العلوم النبوية

«السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَعْدِنَ الْعُلُومِ النَّبَوِيَّةِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَابَ اللَّهِ الَّذِي لَا يُؤْتَى إِلَّا مِنْهُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَبِيلَ اللَّهِ الَّذِي مَنْ سَلَكَ غَيْرَهُ هَلَكَ».

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّلْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: 153).

علينا أن ننظر إلى النهاية عندما ننطلق في سبيل الله تعالى؛ لتكون بداية الطريق مع قائدنا وإمامنا يكشف لنا وعثاء السفر، ويُمسك بأيدينا في مواجهة الصعوبات التي تعترضنا، فنتخطاها بتضحية واطمئنان، ونصل معه إلى عرش الكمال، بقلبٍ متعلقٍ بَقَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَازِرَ شَجَرَةِ طُوبَى وَسِدْرَةِ الْمُنتَهَى».

نحن بحاجة إلى نور الله في كل حين، فهو كاشف الطريق إلى الحق والسعادة، وهو مبدئ الظلمات، وهو الذي لا يُحَجَّبُ عنه

مكانٌ في الأرض أو في السماء، ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (النور: 35)، وهو الذي يزداد ويتعظم ويتألق مع استمرار إشعاعه علينا: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ (النور: 35).

إمامنا المهدي عليه السلام من تجليات نور الله تعالى، «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نُورَ اللَّهِ الَّذِي لَا يُطْفِئُ»، وما دام إشعاع النور من الله تعالى فهو دائم الإضاءة، لا ينقطع ولا يضعف.

وعندما نناجيه، نربط عقولنا وقلوبنا بالنور المتصل بنور الأنوار، بحيث تكون حياتنا مُحاطَةً بالنور من كلِّ جوانبها، عندها تستمرُّ الهداية وتثبت، «اللَّهُمَّ يَا مَقْلَبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ».

• السلام على الحجة

لو بقيت الدنيا من دون حجةٍ لساخت، ولو لم يأتِ الرُّسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام لما اهتدينا. وقد أرسلهم الله تعالى إلى البشرية لتكتمل الحجة، فلا عذر لمعتذر، ولا مَهْرَبٍ لضالٍّ، فمن حَكَمَ عقله اهتدى إلى حجة الله بكلِّ يسرٍ وسهولة، «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حُجَّةَ اللَّهِ الَّتِي لَا تَخْفَى، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حُجَّةَ اللَّهِ عَلَى مَنْ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ».

إنَّ صاحب العصر والزمان هو بَقِيَّةُ الله في الأرض، والحجة البالغة، وهو الذي يحمل صفات الكمال الإنسانيَّ لهداية الناس. يقول القائم عند خروجه، كما ورد عن الإمام أبي جعفر عليه السلام: «أنا بَقِيَّةُ اللَّهِ، وخليفته، وحجته عليكم، فلا يُسَلِّمُ عليه مُسَلِّمٌ إِلَّا قَالَ:

السلام عليك يا بقيّة الله في الأرض»⁽¹⁾. إنّه الحجّة المنتظر ﷺ. وفي التوقيع بخطّ مولانا صاحب الزمان ﷺ: «وأما الحوادث الواقعة، فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنّهم حجّتي عليكم، وأنا حجّة الله عليهم»⁽²⁾.



(1) كشف الغمّة في معرفة الأئمة، ابن أبي الفتح الأربلي، ج3، ص343.

(2) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص483 - 485.

نكمل مع زيارة الإمام الحجة عليه السلام: «السَّلامُ عَلَيْكَ سَلامَ مَنْ عَرَفَكَ بِمَا عَرَفَكَ بِهِ اللهُ، وَنَعَتَكَ بِبَعْضِ نُعُوتِكَ الَّتِي أَنْتَ أَهْلُهَا وَفَوْقَهَا. أَشْهَدُ أَنَّكَ الْحَجَّةُ عَلَى مَنْ مَضَى، وَمَنْ بَقِيَ، وَأَنَّ حِزْبَكَ هُمْ الْغَالِبُونَ، وَأَوْلِيَاءَكَ هُمْ الْفَائِزُونَ، وَأَعْدَاءُكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ، وَأَنَّكَ خَازِنُ كُلِّ عِلْمٍ، وَفَاتِحُ كُلِّ رَتَقٍ، وَمَحَقُّ كُلِّ حَقٍّ، وَمُبْطِلُ كُلِّ بَاطِلٍ. رَضِيْتُكَ - يَا مَوْلَايَ - إِمَاماً وَهَادِياً وَوَلِيّاً وَمُرْشِداً، لَا أَبْتَغِي بِكَ بَدَلاً، وَلَا أَتَّخِذُ مِنْ دُونِكَ وَلِيّاً».

مِنْ نِعَمِ اللهِ تَعَالَى عَلَيْنَا وَرَحْمَتِهِ بِنَا أَنْ أَرْسَلَ لَنَا الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ، وَعَرَّفَنَا طَرِيقَ الْهُدَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: 33).

ولولا تعريف الله تعالى الأنبياء والأوصياء عليهم السلام لنا، ولا سيَّما نبي الإسلام محمداً عليه السلام وأئمة أهل البيت عليهم السلام لما اهتدينا؛ إذ مهما بلغ الإنسان من قدرة العقل، وسعة العلم، فإنَّ خفايا كثيرة تُحِيطُ به؛ ما يُوَدِّي به إلى فهمٍ ناقص، واستنتاجاتٍ عاجزة، بينما بتوجيه الله تعالى لنا عبر نبيه عليه السلام، يتضح طريق الحق.

• المعرفة طريق النجاة

عَرَّفَ اللهُ تَعَالَى إِلَيْنَا نَبِيَّنا الْأَكْرَمَ مُحَمَّدًا عليه السلام بِأَنَّهُ النَّاظِقُ بِالْوَحْيِ، ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: 3-4).

وعرّفنا المصطفى ﷺ إلى سلسلة آل البيت المعصومين (عليه السلام)، وخاتمهم المهديّ ﷺ، فقال: «إنَّ علي بن أبي طالب إمام أمتي، وخليفتي عليها من بعدي، ومن ولده القائم المنتظر، الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً، كما ملئت جوراً وظلماً. والذي بعثني بالحق بشيراً، إنَّ الثابتين على القول به في زمان غيبته لأعزَّ من الكبريت الأحمر»⁽¹⁾.

وفي زيارة الحجّة ﷺ: «السَّلامُ عَلَيْكَ سَلامَ مَنْ عَرَفَكَ بِمَا عَرَفَكَ بِهِ اللهُ». فالمعرفة هي التي تعرّفناها من الإسلام، وإذا ما نعتناك - أيّها الإمام - بالصفات التي وصّحها لنا النبي ﷺ والأئمّة (عليه السلام)، ففي الحديث: «وإنما سُمِّيَ القائم مهديّاً؛ لأنَّه يهدي إلى أمرٍ قد ضلُّوا عنه، وسُمِّيَ بالقائم؛ لقيامه بالحق»⁽²⁾.

وإذا ما أدركنا معاني بعض صفات الحجّة ﷺ، فإننا ندركها بفهمنا القاصر والعاجز عن معرفة حقيقة معانيها؛ ولذا فنحن نسلم على الإمام وننعتّه بالصفات التي هو أهلها، بل فوقها بكثير ممّا لا ندركه ولا نفهمه، فالسلام عليك ممّن «نَعَتَكَ بِبَعْضِ نَعَوَتِكَ الَّتِي أَنْتَ أَهْلُهَا وَفَوْقَهَا».

إنَّ معرفة الإمام الحجّة ﷺ هي التي تضمن سلامة اختيار المؤمن لطريق الإسلام، فالقائد هو مَنْ يأخذ بأيدي المؤمنين، ومع معرفة الإمام والاقتداء به يتحقّق الهدف والاستقامة، سواء أدرك المؤمن

(1) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص 287.

(2) الإرشاد، الشيخ المفيد، ج 2، ص 383.

إمامه أو لم يدركه فمات قبل ظهوره، فعن الإمام الباقر عليه السلام: «مَنْ مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهليّة، وَمَنْ مات وهو عارف لإمامه لم يضرّه تقدّم هذا الأمر أو تأخّر، وَمَنْ مات وهو عارف لإمامه كان كمن هو مع القائم في فسطاطه»⁽¹⁾.

• الحجّة المنصورة

الإيمان بالله تعالى يتطلّب قناعةً واعتقاداً بالأدلّة والبراهين، وكذا تكون الحجّة في سلامة المسير مبنيةً على ما ورد في الكتاب الكريم والسنة الشريفة بالأدلّة القاطعة والواضحة. وإنّما كان الإمام المهديّ عليه السلام حجّة علينا بما ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام؛ إذ لا يستقيم خيارنا في طاعة الله تعالى إلّا باتباعها، ومن دونها يحصل الضياع والانحراف.

سُئل الإمام العسكريّ عليه السلام عن الخبر المرويّ عن آبائه عليهم السلام: «إِنَّ الأرض لا تخلو من حجّة لله على خلقه إلى يوم القيامة، وإنّ مَنْ مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة». فقال عليه السلام: «إِنَّ هذا حقٌّ كما أنّ النهار حقٌّ».

ف قيل له: يا بن رسول الله، فمَنْ الحجّة والإمام بعدك؟

فقال عليه السلام: «ابني محمّد، هو الإمام والحجّة بعدي، مَنْ مات ولم يعرفه مات ميتةً جاهليّة. أما إنّ له غيبة يحار فيها الجاهلون، ويهلك فيها المبطلون، ويكذّب فيها الوقّاتون...»⁽²⁾.

(1) الكافي، الشيخ الكليني، ج1، ص371.

(2) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص409.

وفي الزيارة: «أَشْهَدُ أَنَّكَ الْحَجَّةُ عَلَى مَنْ مَضَى، وَمَنْ بَقِيَ». أما الحجّة على من عاشوا قبل زماننا فلأنّ الإيمان بالإمامة من أصول الدين الخمسة وهو الإمام الثاني عشر، وأما الحجّة على من بقي على قيد الحياة فلأنّه إمامهم الغائب المنتظر.

إنّ طريق الحجّة غالبه وفائزّه ومنصورة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (المائدة: 56)، وعن الإمام عليّ عليه السلام - في قوله تعالى: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ - قال: «هم آل محمد ﷺ، يبعث الله مهديّهم بعد جهدهم، فيعزّهم، ويدلّ عدوّهم»⁽¹⁾.

من هنا، كانت الشهادة في الزيارة مطابقة لهذا الوعد الإلهيّ، «وَأَنَّ حِزْبَكَ هُمُ الْغَالِبُونَ، وَأَوْلِيَاءَكَ هُمُ الْفَائِزُونَ، وَأَعْدَاءَكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ»؛ إنّها السّنة الإلهيّة في أن يفوز المؤمنون، ويخسر الكافرون.

• قائدي وإمامي

كيف لا ألتمزم بقيادتك يا إمامي، «وَأَنَّكَ خَازِنُ كُلِّ عِلْمٍ»؟ وكلّ ما خفي عنّا من الأحكام الشرعيّة، سنعرف حقيقته والأحكام الشرعيّة القطعيّة منك يا بقيّة الله، وكلّ ما يحتاجه عالم المستقبل من العلوم المعاصرة والقيادة العالميّة... متوفّر في خزانة علمك.

(1) الغيبة، الشيخ الطوسي، ص 184.

وَأَنْكَ «فَاتِقُ كُلِّ رَتَقٍ»، فثَمَّةُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ مُتَّصِلَةٌ وَمُتَرَابِطَةٌ وَمُتَشَابِكَةٌ؛ أَيُّ إِنَّهَا مُرْتَوَقَةٌ، وَأَنْتَ وَحْدَكَ يَا إِمَامِي قَادِرٌ عَلَى فَتْقِهَا وَفَصْلِ مَا بَيْنَهَا لِنَتَعَرَفَ عَلَى الْحَقَائِقِ وَالتَّكَالِيفِ.

كَيْفَ لَا أَلْتَزِمُ أَوَامِرَكَ - يَا إِمَامِي - وَأَنْتَ «مُحَقِّقُ كُلِّ حَقٍّ، وَمُبْطِلُ كُلِّ بَاطِلٍ»؟ وَهَلْ تَكُونُ نَجَاتَنَا إِلَّا بِقِيَادَتِكَ إِيَّانَا إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ؟ يَا حَامِلَ لَوَاءِ النُّبُوَّةِ وَالْإِمَامَةِ.

إِنَّهَا سَفِينَةُ النِّجَاةِ فِي بَحْرِ الْحَيَاةِ الْمُتَلَاطِمِ بِأَمْوَاجِ الْبَاطِلِ، فَعَنِ الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرْكَبَ سَفِينَةَ النِّجَاةِ، وَيَسْتَمْسِكَ بِالْعُرْوَةِ الْوَثْقَى، وَيَعْتَصِمَ بِحَبْلِ اللَّهِ الْمَتِينِ، فَلْيُؤَالِ عِلِيًّا بَعْدِي، وَلْيَعَادِ عَدُوَّهُ، وَلْيَأْتِمَ بِالْأَثَمَةِ الْهَدَاةِ مِنْ وَلَدِهِ، فَإِنَّهُمْ خُلَفَائِي وَأَوْصِيَائِي وَحُجَجُ اللَّهِ عَلَى الْخَلْقِ بَعْدِي، وَسَادَةُ أُمَّتِي، وَقَادَةُ الْأَتْقِيَاءِ إِلَى الْجَنَّةِ، حَزْبُهُمْ حَزْبِي، وَحَزْبِي حَزْبُ اللَّهِ، وَحَزْبُ أَعْدَائِهِمْ حَزْبُ الشَّيْطَانِ»⁽¹⁾.

(1) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج 38، ص 92.



اختبرنا الله تعالى في هذه الدنيا مخيراً إيانا بين الحق والباطل، ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (الكهف: 29)، وبين لنا محاسن طريق الإيمان وخيراته، ومساوئ طريق الباطل وخسائره، وأن ما نختاره في الدنيا ينعكس بتمامه على الآخرة، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، ولا يفلح إلا من اختار طريق الحق، واتّبعه. يرّكز القسم الثالث من زيارة الإمام الحجة عليه السلام على حسن اتّباع الحجة عليه السلام، بما هو حقّ يؤدّي إلى انتصار الدين وهزيمة الظالمين: «أَشْهَدُ أَنَّكَ الْحَقُّ الثَّابِتُ الَّذِي لَا عَيْبَ فِيهِ، وَأَنَّ وَعْدَ اللَّهِ فِيكَ حَقٌّ، لَا أَرْتَابُ لِطَوْلِ الْعَيْبَةِ وَبُعْدِ الْأَمَدِ، وَلَا أَتَحَيَّرُ مَعَ مَنْ جَهَلَكَ وَجْهَلْ بِكَ، مُنْتَظِرٌ مُتَوَقِّعٌ لِأَيَّامِكَ. وَأَنْتَ الشَّافِعُ الَّذِي لَا تُنَازِعُ، وَالْوَلِيُّ الَّذِي لَا تُدَافِعُ، ذَخَرَكَ اللَّهُ لِنُصْرَةِ الدِّينِ، وَإِعْزَازِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْإِنْتِقَامِ مِنَ الْجَا حِدِينَ الْمَارِقِينَ».

• أشهد أنك الحقّ الثابت

علّمنا الإسلام أن نتبع الحقّ مقياساً وهادياً، ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (الكهف: 29)، وهذا ما يستدعي منا أن نعرف الحقّ لنعرف أهله، وأن نتلمّس خطوات الطريق في حياتنا للاهتداء بمعالم هذا الحقّ. ومن المقطوع به أن كتاب الله تعالى هو الحقّ على مستوى النظريّة والقواعد والتوجيهات: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ

رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ (السجدة: 2). والنبى ﷺ وآله ﷺ هم الحق على المستوى العملي والتطبيقي، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر: 7). وقد أتى رجلٌ أمير المؤمنين ﷺ فقال له: «مَا أَذْنَى مَا يَكُونُ بِهِ الْعَبْدُ مُؤْمِنًا؟... فَأَجَاب: أَمَا أَذْنَى مَا يَكُونُ بِهِ الْعَبْدُ مُؤْمِنًا؛ أَنْ يُعْرِفَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَفْسَهُ، فَيَقِرَّ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَيُعْرِفَهُ نَبِيَّهُ ﷺ فَيَقِرَّ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَيُعْرِفَهُ إِمَامَهُ وَحُجَّتَهُ فِي أَرْضِهِ وَشَاهِدَهُ عَلَى خَلْقِهِ فَيَقِرَّ لَهُ بِالطَّاعَةِ.

ثُمَّ قَالَ: الَّذِينَ قَرَنَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِنَفْسِهِ وَنَبِيِّهِ، فَقَالَ: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: 59).

قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، أَوْضَحْ لِي.

فَقَالَ ﷺ: «الَّذِينَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي آخِرِ خُطْبَتِهِ يَوْمَ قَبْضِهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ: إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللَّهِ، وَعِثْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، فَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ قَدْ عَهَدَ إِلَيَّ أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ كَهَاتَيْنِ، وَجَمَعَ بَيْنَ مُسَبِّحَتِهِ، وَلَا أَقُولُ كَهَاتَيْنِ، وَجَمَعَ بَيْنَ الْمُسَبِّحَةِ وَالْوُسْطَى، فَتَسْبِقُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى، فَتَمَسَّكُوا بِهِمَا لَا تَزِلُّوا وَلَا تَضِلُّوا، وَلَا تَقْدِّمُوهُمُ فَتَضِلُّوا»⁽¹⁾.

فإذا ما أردنا اتباع الحق، علينا أن نهتدي بالكتاب الكريم والنبى والعتره الطاهرة ﷺ، وآخر العتره بقيه الله تعالى في الأرضين

(1) الكافي، الشيخ الكليني، ج2، ص414.

الإمام المهدي عليه السلام. وهذا ما تُعبر عنه زيارة الحجة عليه السلام: «أشهد أنك الحق الثابت الذي لا عيب فيه».

• لا تخلو الأرض من حجة

عن الإمام الحسن عليه السلام قال: «خطب رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً فقال، بعدما حمد الله وأثنى عليه: معاشر

الناس، كأنني أدعى فأجيب، وإنني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا، فتعلموا منهم، ولا تعلموهم، فإنهم أعلم منكم، لا تخلو الأرض منهم، ولو خلت إذا لساخت بأهلها.

ثم قال عليه السلام: اللهم إني أعلم أن العلم لا يبيد ولا ينقطع، وإنك لا تُخلي أرضك من حجة لك على خلقك، ظاهر ليس بالمطاع، أو خائف مغمور؛ لكيلا تبطل حجتك، ولا يضل أولياؤك بعد إذ هديتهم، أولئك الأقلون عدداً، الأعظمون قدراً عند الله.

فلما نزل عن منبره، قلت: يا رسول الله، أما أنت الحجة على الخلق كلهم؟ قال: يا حسن، إن الله يقول: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (الرعد: 7)؛ فأنا المنذر، وعليّ الهادي. قلت: يا رسول الله، فقولك: إن الأرض لا تخلو من حجة؟ قال: نعم، عليّ هو الإمام والحجة بعدي، وأنت الحجة والإمام بعده، والحسين الإمام والحجة والخليفة بعدك، ولقد نبأني اللطيف الخبير أنه يخرج من صلب الحسين غلام يقال له: عليّ، سميّ جدّه عليّ، فإذا مضى الحسين أقام بالأمر

بعده عليّ ابنه، وهو الإمام والحجّة بعد أبيه... ويُخرج الله تعالى من صلب الحسن الحجّة القائم، إمام زمانه، ومنقذ أوليائه، ويغيب حتّى لا يرى، يرجع عن أمره قوم، ويثبت آخرون، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (يونس: 48)، ولو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطول الله عزّ وجلّ ذلك حتّى يخرج قائمنا فيملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، فلا تخلو الأرض منكم»⁽¹⁾.

«وَأَنَّ وَعْدَ اللَّهِ فِيكَ حَقٌّ، لَا أَرْتَابُ لَطُولِ الْغَيْبَةِ وَبُعْدِ الْأَمَدِ، وَلَا أَتَحَيَّرُ مَعَ مَنْ جَهْلِكَ وَجَهْلَ بِكَ». إنّها إرادة الله تعالى أن تكون له غيبة طويلة، وحيرةٌ يُختبر فيها الناس، وهي غيبة مؤكدة يتبعها الظهور الحتمي لمولانا الحجّة ﷺ كما أكّدت الروايات، ومنها عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «المهديّ الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، تكون له غيبة وحيرة، يضلّ فيها أقوام، ويهتدي فيها آخرون»⁽²⁾.

فلا حيرة لدى المؤمنين. ولا تخفى أهميّة الإيمان ببزوغ فجر العدالة الممتدّة على مستوى المعمورة على يد قائم آل محمّد ﷺ، وانعكاس هذا اليقين على سلوك الإنسان وخياراته في هذه الحياة الدنيا.

• انتظار الفرج

الانتظار هو سمة فترة الغيبة الكبرى، وهو الأمل بسيادة الفضائل

(1) البرهان في تفسير القرآن، السيّد هاشم البحراني، ج3، ص228.

(2) الكافي، الشيخ الكليني، ج1، ص338.

وتعميم العدل، واستخلاف المؤمنين وانتصار الحق. الانتظار هو حركة الأمة لتهيئة الظروف الملائمة لظهور المنتظر ﷺ؛ ما يتطلب أن يكون المنتظرون جديين وفاعلين بانتظار إمامهم؛ لذا جاء في الزيارة: «مُنْتَظَرٌ مُتَوَقَّعٌ لِأَيَّامِكَ»، وفيها يقين بالظهور.

عن رسول الله ﷺ: «سلوا الله من فضله، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ، وأفضل العبادة انتظار الفرج»⁽¹⁾.

وفي سؤال لأمير المؤمنين عليه السلام: فَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ أجاب: «انتظار الفرج»⁽²⁾.

• الذخيرة الإلهية

«وَأَنْتَ الشَّافِعُ الَّذِي لَا تُنَازَعُ، وَالْوَلِيُّ الَّذِي لَا تُدَافَعُ».

لا تقتصر الولاية على آثارها الدنيوية بالنصر والتوفيق، بل تمتد إلى الآخرة بشفاعته النبي ﷺ وآل البيت عليهم السلام للمؤمنين. وعندما يتصدر الإمام المهدي عليه السلام القيادة للأمة، فَإِنَّ صَلَاحِيَّاتِهِ فِي الشَّفَاعَةِ لَهُمْ تَمَكُّنُهُ مِنْ أَنْ يَشْفَعَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى لِلْمُنْتَظَرِينَ وَالْمُجَنِّدِينَ تَحْتَ لَوَائِهِ، «يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَدْنَى لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا» (طه: 109)، وهي مكرمة لا يُنَازَعُ فيها؛ إِذْ إِنَّهُ الْوَلِيُّ الْمَعْصُومُ الَّذِي لَا يُضَاهِيهِ أَحَدٌ فِي زَمَانِهِ، وَهُوَ الْمُتَقَدِّمُ عَلَى الْجَمِيعِ فِي مَا مَنَحَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِيَّاهُ كَخَاتَمٍ لِلْأَوْصِيَاءِ، فَهَنِيئًا لِمَنْ التَّحَقَّقَ بِهِ، وَتَعَلَّقَ بِإِمَارَتِهِ، وَسَلَّمْ فِي كُلِّ شَأْنِهِ لِأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ.

(1) سنن الترمذي، الترمذي، ج5، ص225.

(2) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، ص199.

الإمام المهدي عليه السلام هو الذخيرة الإلهية لنصرة دينه في آخر الزمان: «دَحَرَكَ اللَّهُ لِنُصْرَةِ الدِّينِ، وَإِعْزَازِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْإِنْتِقَامِ مِنَ الْجَا حِدِينَ الْمَارِقِينَ». تتلازم قيادته مع نصر المؤمنين وعزّتهم، وهزيمة الكافرين وذلّتهم، فعن الإمام الجواد عليه السلام: «ما منّا إلّا وهو قائم بأمر الله عزّ وجلّ، وهادٍ إلى دين الله، ولكنّ القائم الذي يُطهّر الله عزّ وجلّ به الأرض من أهل الكفر والجحود، ويملؤها عدلاً وقسطاً، هو الذي تخفى على الناس ولادته، ويغيب عنهم شخصه، ويحرم عليهم تسميته، وهو سميّ رسول الله صلى الله عليه وآله وكنيته، وهو الذي تطوى له الأرض، ويذلّ له كلّ صعب، ويجتمع إليه من أصحابه عدّة أهل بدر: ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أقاصي الأرض، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَيُّنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: 148). فإذا اجتمعت له هذه العدّة من أهل الإخلاص، أظهر الله أمره، فإذا كمل له العقد، وهو عشرة آلاف رجل، خرج بإذن الله عزّ وجلّ، فلا يزال يقتل أعداء الله حتّى يرضى الله عزّ وجلّ»⁽¹⁾.

إنّ أتباع الحجّة عليه السلام مضمون النتائج في الدنيا والآخرة، وهو خيار الهدى بالانتظار أثناء الغيبة، والانقياد عند الظهور، وفي الحالتين هو أتباعٌ يُسعد المؤمنين في الدنيا والآخرة.

(1) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص378.

جاء في زيارة الحجة عليه السلام: «أَشْهَدُ أَنَّ بُولَايَتِكَ تُقْبَلُ الْأَعْمَالُ، وَتُزَكَّى الْأَفْعَالُ، وَتُضَاعَفُ الْحَسَنَاتُ، وَتُمَحَى السَّيِّئَاتُ. فَمَنْ جَاءَ بِبُولَايَتِكَ، وَاعْتَرَفَ بِإِمَامَتِكَ، قُبِلَتْ أَعْمَالُهُ، وَصُدِّقَتْ أَقْوَالُهُ، وَتُضَاعَفَتْ حَسَنَاتُهُ، وَمُحِيتُ سَيِّئَاتُهُ».

• مفتاح قبول الأعمال

الشهادة بولاية الإمام الحجة المهدي عليه السلام طريق النجاة وقبول الأعمال، فولايته تُرشد إلى الحق والصلاح، وتقود إلى مرضاة الله تعالى، ولا نجاح في دار الاختبار إلا بالهداية إلى سبيل الله تعالى.

وتؤدّي الولاية دورها في تزكية الأفعال؛ لأنّ توجيهات الأولياء وتعاليمهم هي من سخيّة توجيهات الرسول عليه السلام وتعاليمه، و ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الجمعة: 2). فالإمام الحجة عليه السلام يزكّي الأفعال بقيادته المؤمنين إلى صلاحهم وفلاحهم.

وهي التي تضاعف الحسنات وتمحو السيئات، انسجاماً مع المبدأ الإسلاميّ العامّ الذي أعلنه الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ (الأنعام: 160). فزيادة الحسنات بسبب الحبّ والموالاة، فينمو رصيد الموالي بما يحقّق له ضمانة الفوز في الدنيا والآخرة.

لا يمكن أن نعبر إلى برِّ الأمان من دون قيادةٍ تأخذ بأيدينا لتتجاوز العقبات، ولا يمكن أن ننجو في خضمِّ الآثام إلا بسفينة النجاة التي تحملنا بهديها وشفاعة قيادتها، فعن رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرْكَبَ سَفِينَةَ النِّجَاةِ، وَيَسْتَمْسِكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى، وَيَعْتَصِمَ بِحَبْلِ اللَّهِ الْمَتِينِ، فليوالِ عليّاً بعدي، وليُعَادِ عدوّه، وليَأْتِمْ بِالْأَتَمَّةِ الْهَدَاةِ مِنْ وَلَدِهِ، فَإِنَّهُمْ خَلْفَائِي وَأَوْصِيَائِي، وَحُجُجُ اللَّهِ عَلَى الْخَلْقِ بَعْدِي، وَسَادَةُ أُمَّتِي، وَقَادَةُ الْأَتَقِيَاءِ إِلَى الْجَنَّةِ، حَزْبُهُمْ حَزْبِي، وَحَزْبِي حَزْبُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَحَزْبُ أَعْدَائِهِمْ حَزْبُ الشَّيْطَانِ»⁽¹⁾.

• العادلون عن الولاية

«وَمَنْ عَدَلَ عَنْ وَلَايَتِكَ، وَجَهَلَ مَعْرِفَتَكَ، وَاسْتَبَدَلَ بِكَ غَيْرَكَ، كَبَّهُ اللَّهُ عَلَى مَنْخَرِهِ فِي النَّارِ، وَلَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ لَهُ عَمَلًا، وَلَمْ يَقُمْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا».

كيف يتخلّى عن الولاية مَنْ عرف سلسلتها الموصلة إلى الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (المائدة: 56)!

وما هو عذر مَنْ استبدل الولاية بغيرها، وهي التي تضمن له الوصول إلى مرضاة الله تعالى!

فإذا ما كان الجاهل معذوراً، وإذا ما كان القاصر محروماً، فما بال المتجاهل والمقصر والمتعنّت الذي يُغمض عينيه كي لا يرى نور الإمامة!

(1) عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، الشيخ الصدوق، ج 1، ص 262.

فلنعتبر من قصة ابني آدم عليهما السلام: ﴿وَأْتَلَّ عَلَيْهِمَ نَبَأَ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة: 27). العبرة - إذاً - بالمضمون؛ إذ يتقبل الله من المتقين.

الولاية هي خط السير المضمون إلى جنّة الله تعالى، فمن جافاها خرج عن الطريق، وعندها لا قيمة لأعماله مهما بلغت؛ لتلازم الإيمان والعمل. فإذا ما جاء يوم الحساب، وانكشف له مساره المنحرف، وقد خفت موازينه، فسينجرف إلى الهاوية، منكباً على منخره في النار، وهو جزاء خياره الخاطئ.

• نظام الدين

«أَشْهَدُ اللَّهَ، وَأَشْهَدُ مَلَائِكَتَهُ، وَأَشْهَدُكَ يَا مَوْلَايَ بِهَذَا، ظَاهِرُهُ كِبَاطِنُهُ، وَسِرُّهُ كَعَلَانِيَتِهِ، وَأَنْتَ الشَّاهِدُ عَلَى ذَلِكَ، وَهُوَ عَهْدِي إِلَيْكَ وَمِيثَاقِي لَدَيْكَ، إِذْ أَنْتَ نِظَامُ الدِّينِ، وَيَعْسُوبُ الْمُتَّقِينَ، وَعِزُّ الْمُوحِّدِينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَنِي رَبُّ الْعَالَمِينَ».

الإيمان بالولاية ينبع من القلب، ويتجلى في السلوك، فهو لا يقتصر على المودة والمحبة.

والعهد بالولاية التزام بين الإنسان وربّه، وإيمانٌ يحدّد المسار على درب الإسلام؛ ذلك أنّ الولاية نظام الدين وسنامه، فعن جابر قال: خدمت سيّدنا الإمام أبا جعفرٍ محمد بن عليّ عليهما السلام ثمانين عشرة سنة، فلمّا أردت الخروج ودّعته، وقلتُ: أفدني. فقال: «بعد

ثمانى عشرة سنة، يا جابر! قلتُ: نعم، إنكم بحرٌ لا ينزف، ولا يُبلِّغ قعره. فقال: يا جابر، بلِّغ شيعتي عني السلام، وأعلمهم أنَّه لا قرابة بيننا وبين الله عزَّ وجلَّ، ولا يُتقَرَّب إليه إلَّا بالطاعة له. يا جابر، مَنْ أطاع الله وأحبَّنَا فهو وليَّنَا، وَمَنْ عصى الله لم ينفعه حبُّنا (إلى أن قال):... وحبَّنَا أهل البيت نظام الدين»⁽¹⁾.

الإمام المهديّ ﷺ يعسوبُ الدين، ومركزُ القطب من الرحي، ومنارةُ الهداية للسالكين والعارفين، وهو عزُّ الموحِّدين، وعلوُّ مقامهم، وكرامتهم في الدنيا والآخرة. وهذا الموقع للإمام ﷺ من نظام الدين وتوجيهاته، وأوامر ربِّ العالمين الذي أمرنا بالتمسُّك بالعروة الوثقى، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (لقمان: 22).

وعن رسول الله ﷺ: «الأئمة من وُلد الحسين ﷺ، مَنْ أطاعهم فقد أطاع الله، وَمَنْ عصاهم فقد عصى الله عزَّ وجلَّ، هم العروة الوثقى، وهم الوسيلة إلى الله عزَّ وجلَّ»⁽²⁾.

• المجاهدون المنتظرون

«فَلَوْ تَطَاوَلَتِ الدُّهُورُ، وَتَمَادَتِ الْأَعْمَارُ، لَمْ أَزِدْ فِيكَ إِلَّا يَقِينًا، وَلَكَ إِلَّا حُبًّا، وَعَلَيْكَ إِلَّا مُتَكَلًّا وَمُعْتَمِدًا، وَلِظُهُورِكَ إِلَّا مُتَوَقِّعًا وَمُنْتَظَرًا، وَلِجِهَادِي بَيْنَ يَدَيْكَ مُتَرَقِّبًا، فَأَبْذُلُ نَفْسِي وَمَالِي وَوَلَدِي وَأَهْلِي وَجَمِيعَ مَا حَوَّلَنِي رَبِّي بَيْنَ يَدَيْكَ، وَالتَّصَرَّفَ بَيْنَ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ».

(1) الأمالي، الشيخ الطوسي، ص 296.

(2) عيون أخبار الرضا ﷺ، الشيخ الصدوق، ج 2، ص 63.

نحن موعودون بالفرج، ومأمورون بالانتظار، من دون تحديد للوقت، على أن تكون أعمالنا بقيادة الإمام المهدي عليه السلام، الغائب شخصاً، والحاضر منهجاً، بحيث لا تنقص أعمالنا، ولا تحيد استقامتنا طرفة عينٍ عمّا لو كان ظاهراً بيننا، مهما طال الزمان، لا يحول ذلك دون زيادة الشوق والحبِّ واليقين بصاحب العصر والزمان عليه السلام، ونتوقع ظهوره الحتمي بالوعد الإلهي، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطوّل الله عزّ وجلّ ذلك اليوم، حتّى يبعث فيه رجلاً من ولدي، اسمه اسمي.

فقام سلمان الفارسيّ فقال: يا رسول الله، من أيّ ولدك هو؟

قال عليه السلام: من ولدي هذا، وضرب بيده على الحسين عليه السلام»⁽¹⁾.

كلّ يوم يمرّ يقربنا من الفرج، وسنبقى ساعين إلى نصرته عليه السلام، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تقوم الساعة حتّى يقوم قائمٌ للحقّ منّا، وذلك حين يأذن الله عزّ وجلّ له، ومن تبعه نجا، ومن تخلف عنه هلك. الله الله عبادَ الله، فاتوه ولو حبواً على الثلج، فإنّه خليفة الله عزّ وجلّ، وخليفتي»⁽²⁾.

(1) كشف الغمّة في معرفة الأئمة، ابن أبي الفتح الأربليّ، ج3، ص268.

(2) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج1، ص65.



جاء في زيارة الحجة عليه السلام: «مَوْلَايَ، فَإِنْ أَدْرَكْتُ أَيَّامَكَ الرَّاهِرَةَ وَأَعْلَامَكَ الْبَاهِرَةَ، فَهَا أَنَا ذَا عَبْدُكَ الْمُتَصَرِّفُ بَيْنَ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ، أَرْجُو بِهِ الشَّهَادَةَ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَالْفَوْزَ لَدَيْكَ».

• إدراك الإمام عليه السلام

يواجه المؤمن الموالي احتمالين تحت إمرة صاحب العصر والزمان عليه السلام:

الاحتمال الأول: أن يُدرِكَ الإمام عليه السلام عند ظهوره، ويتمتع بمشاهدته، ويستمتع مباشرة لأوامره، ويكون من جنده وتحت لوائه. وفي هذه الحالة لا بدَّ من أن يكون قد هيأ نفسه قبل الظهور بالعبادة وصقل الشخصية، والمجاهدة، والاستعداد لبذل النفس والمال في سبيل الله تعالى، وتحت إمرته عليه السلام. ولذا، يكون الموالي في حالة فناءٍ عند اللقاء في حبِّ الإمام المهدي عليه السلام وموالاته.

يسبِقُ الاستعدادُ للظهور حالة الفرج، وهذا ما يتطلب من المؤمن الموالي أن لا يتراخى، ولا يهمل، ولا يطيل الأمل بوجود الفرصة، فالحياة قصيرة، وقد يحصل الفرجُ بأسرع ممَّا يتصوره الموالي، فإذا ما أهَّل نفسه لمرحلة الفرج، حيث الأيام زاهرة بالحقِّ والنصر، وأعلام الهدى مرفرفة على المعمورة تُبهر الناظرين، فمن الطبيعي أن يكون تحت إمرة صاحب الزمان عليه السلام، ينفذُ أوامره، وينتهي عمَّا

ينهى عنه، ويكون حاضراً للشهادة بين يديه، بل راجباً في أن يختم حياته بها، وأن يكون فوزه بين يدي الحجة عليه السلام.

الاحتمال الثاني: أن يعاجله الموت فلا يدرك ظهور الإمام عليه السلام، وفي هذه الحالة، له طلبان:

1- هو الرجعة، ففي الزيارة: «مَوْلَايَ، فَإِنْ أَدْرَكَنِي الْمَوْتُ قَبْلَ ظُهُورِكَ، فَإِنِّي أَتَوَسَّلُ بِكَ وَبِأَبَائِكَ الطَّاهِرِينَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدٌ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ يَجْعَلَ لِي كَرَّةً فِي ظُهُورِكَ، وَرَجْعَةً فِي أَيَّامِكَ، لِأُبْلَغَ مِنْ طَاعَتِكَ مُرَادِي، وَأُشْفِيَ مِنْ أَعْدَائِكَ فُؤَادِي».

تُرشدنا زيارة الحجة عليه السلام إلى التوسل كمسارٍ تربويٍّ يقومُ توجهُ المؤمن نحو التقوى، قال تعالى: يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿35﴾ (المائدة: 35)، ثم الصلاة على محمد عليه السلام وآل محمد عليهم السلام كمعبرٍ إلى كلِّ الخيرات والتوفيق الإلهي، وذلك لتكون شخصية الموالى حاملةً لقابلية المساهمة في نصرة دين الله تعالى مع الإمام الحجة عليه السلام، وعندما تصبح الرجعة بعد الموت لمن وفق إليها، وقد محّص الإيمان، فرصةً سانحةً للمؤمن الموالى، لاستكمال الدور الأساس في نصرة الحق بقيادة وليِّ الله الأعظم وخاتم الأئمة عليهم السلام، وطاعته للذّب عنه، وشفاءً للفؤاد بالاقتصاص من أعدائه.

2- هو إصلاح الذات، ففي الزيارة: «مَوْلَايَ، وَقَفْتُ فِي زِيَارَتِكَ مَوْقِفَ الْخَاطِئِينَ النَّادِمِينَ الْخَائِفِينَ مِنْ عِقَابِ رَبِّ الْعَالَمِينَ،

وَقَدْ اتَّكَلْتُ عَلَى شَفَاعَتِكَ، وَرَجَوْتُ بِمُؤَالَاتِكَ وَشَفَاعَتِكَ مَحْوَ دُنُوبِي، وَسَتْرَ عُيُوبِي، وَمَغْفِرَةَ زَلِّي، فَكُنْ لَوْلِيكَ يَا مَوْلَايَ عِنْدَ تَحْقِيقِ أَمَلِهِ، وَاسْأَلِ اللَّهَ غُفْرَانَ زَلْلِهِ، فَقَدْ تَعَلَّقَ بِحَبْلِكَ، وَتَمَسَكَ بِوَلَايَتِكَ، وَتَبَرَّأَ مِنْ أَعْدَائِكَ».

على المؤمن الموالي أن يجاهد نفسه مجاهدةً دائمةً ومستمرةً، في أيامه ولياليه؛ ليحافظ على استقامتها، وينمي تقواها، وينجح في مواجهة تحديات ووسوسات الشيطان لها. فالخُلُص هم الذين واجهوا امتحاناتهم وبلاءاتهم بالصبر والتضحية، ورأس الامتحانات انتظار الفرج، وتحمل المشقات، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَأْتِيكُمْ إِلَّا بَعْدَ أَيَّاسٍ، لَا وَاللَّهِ، حَتَّى تَمَيِّزُوا، وَلَا وَاللَّهِ، حَتَّى تُمَحَّصُوا، وَلَا وَاللَّهِ، حَتَّى يَشْقَى مَنْ يَشْقَى، وَيَسْعَدَ مَنْ يَسْعَدُ»⁽¹⁾.

يعترف المؤمن بخطئه وندمه وخوفه من عقاب الله تعالى، فيكون الاعتراف طريقاً إلى النجاة، ففي الدعاء أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى «صَاحِبُ الْعَطَايَا، وَمَانِعُ الْبَلَايَا، يُشْفِي السَّقِيمَ، وَيَغْفِرُ لِلخَاطِئِينَ، وَيَعْفُو عَنِ النَّادِمِينَ، وَيَحِبُّ الصَّالِحِينَ، وَيُؤْوِي الْهَارِبِينَ، وَيَسْتَرْ عَلَى الْمَذْنُبِينَ، وَيُؤْمِنُ الْخَائِفِينَ»⁽²⁾.

وفي المناجاة عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «يَا مَنْ آتَسَ الْعَارِفِينَ بِطَيْبِ مُنَاجَاتِهِ، وَأَلْبَسَ الْخَاطِئِينَ ثَوْبَ مُؤَالَاتِهِ، مَتَى فَرِحَ

(1) الكافي، الشيخ الكليني، ج 2، ص 370.

(2) مُهَجَّجُ الدَّعَوَاتِ وَمَنْهَجُ الْعِبَادَاتِ، السَّيِّدُ ابْنُ طَاوُوسٍ، ص 89.

مَنْ قَصَدَتْ سِوَاكَ هِمَّتُهُ؟ وَمَتَى اسْتَرَحَ مَنْ أَرَادَتْ غَيْرَكَ عَزِيمَتُهُ؟
وَمَنْ ذَا الَّذِي قَصَدَكَ بِصَدَقِ الْإِرَادَةِ فَلَمْ تُشَفِّعْهُ فِي مُرَادِهِ؟ أَمْ مَنْ
ذَا الَّذِي اعْتَمَدَ عَلَيْكَ فِي أَمْرِهِ فَلَمْ تَجِدْ بِإِسْعَادِهِ؟ أَمْ مَنْ ذَا الَّذِي
اسْتَرْشَدَكَ فَلَمْ تَمُنْ بِإِرْشَادِهِ؟»⁽¹⁾.

• الموالاة والشفاعة

من أهم طرق النجاة: الموالاة والشفاعة.

فبالموالاة تكون الطاعة للولي سبباً للصالح؛ لأننا بالموالاة لله تعالى، ولرسوله ﷺ وللأئمة عليهم السلام نعيش ذوبان الذات في سبيل الله تعالى، فيكون كل شيء في حياتنا طاعة لله تعالى، ونبتعد عن المعاصي مهما كانت صغيرة، ويكون رفقاؤنا وأصحابنا من الموالين، ونتكئل معاً لمواجهة أعداء الله تعالى بكل جرأة وتضحية، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «جماع الخير في الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والمحبة في الله، والبغض في الله»⁽²⁾.

وبالشفاعة تكون الضمانة في الآخرة للفوز، إذ مهما كانت أعمالنا عظيمة فقد تشوبها النواقص، ومهما بذلنا من جهود فقد نقع في التقصير، عندها لا يمكن الاتكاء على النجاة بأعمالنا فقط، فإذا ما أضفنا إليها شفاعاة النبي ﷺ والآل عليهم السلام نكون ضامين لآخرتنا، وبما أننا نزور الحجة ﷺ، فهو أعظم الشفعاء يوم القيامة، نتمسك به، ونرجو رضاه، ونسأل الله تعالى توفيقنا لشفاعته.

(1) الصحيفة السجادية، الدعاء (199).

(2) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص 223.

العمل على إصلاح الذات مهمةٌ أصليّة ومركزيّة، قال تعالى:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝١
وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (الشمس: 7 - 10)، وحيث يواجه الإنسان الذنوب والعيوب والزَّلَل، فإنَّ الإصلاح يبدأ من التوبة النصوحة المصحوبة بغفران الذنوب، كي لا تكون صحيفة أعمالنا مملوءة بالمعاصي؛ فتشكّل مانعاً من الخلاص والانتقال إلى مرحلة تراكم الأعمال الصالحة. وكذلك يعالج المؤمن عيوبه ويتخلّص منها بالعبادة والتقوى وتطبيق الأوامر الإلهيّة؛ ليستقيم حاله. وكذلك يلجأ إلى الله تعالى؛ ليساعده على عدم الوقوع في الزَّلَل عند الاختبارات التي تواجهه في حياته الدنيا.

يهون كلّ هذا مع الموالاة لصاحب العصر والزمان عليه السلام، فالأمل به يدفع المؤمن إلى أن يُصلح حاله ليكون من جنده وأعوانه، وهو هدف عظيم أن يوفّق الإنسان ليكون في رَكْبِ المعصوم المنصور الذي يقيم العدالة في كلّ المعمورة في آخر الزمان، هذا من جهة. ومن جهة أخرى، فإنَّ مكانة الوليّ الأعظم عند الله تعالى تمكّنه من الشفاعة لأوليائه والأخذ بأيديهم إلى جنّة الخلد، وبذلك يكون الموالى فائزاً في الدنيا والآخرة، وهذه هي السعادة الحقيقيّة التي أرادها الله تعالى لنا.



نبقى في رحاب المقطع الأخير من زيارة الحجة ﷺ، وهو مفعم بالآمال المرتبطة بظهور الإمام المهدي ﷺ، بناءً إلى الوعد الإلهي بظهوره ونصره وحكم الأرض وما عليها.

• شرط قبول الدعاء

«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَنْجِزْ لَوْلِيِّكَ مَا وَعَدْتَهُ، اللَّهُمَّ أَظْهِرْ كَلِمَتَهُ، وَأَعْلِ دَعْوَتَهُ، وَأَنْصُرْهُ عَلَى عَدُوِّهِ وَعَدُوِّكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ».

الافتتاح بالصلاة على محمد وآل محمد شرط قبول الدعاء، ووسيلة اختراق الحجب لمناجاة الله تعالى، وتأكيد الصراط المستقيم في مطالب المؤمنين للخيرات من رب العالمين الذي لا يُردُّ سائله، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: 186).

فالمطلوب منا أن ندعو الله تعالى ليساعدنا على تحقيق أمنيّاتنا في هذه الحياة الدنيا، فعن رسول الله ﷺ: «ألا أدلكم على سلاحٍ ينجيكم من أعدائكم، ويدرّ أرزاقكم؟ قالوا: بلى، قال: تدعون ربكم بالليل والنهار، فإنّ سلاح المؤمن الدعاء»⁽¹⁾.

(1) الكافي، الشيخ الكليني، ج2، ص 468.

والدعاء هو السبيل لفتح خزائن الله تعالى، وإنجاز آمالنا مهما بلغت، فالدعاء مفتاح الآمال والنعم، فعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام للإمام الحسن عليه السلام: «... واعلم أنّ الذي بيده خزائن السماوات والأرض قد أذن لك في الدعاء، وتكفل لك بالإجابة، وأمرك أن تسأله ليعطيك، وتسترحمه ليرحمك، ولم يجعل بينك وبينه من يحجبه عنك، ولم يُلجئك إلى من يشفع لك إليه... ثمّ جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن لك من مسألته، فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمته...»⁽¹⁾.

• الوعد الإلهي

أول المطالب: «وَأَنْجِزْ لَوْلِيكَ مَا وَعَدْتَهُ». إنجاز الوعد الإلهي بنصر المؤمنين على يد الإمام المهديّ عليه السلام الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، ويحكم بدين الله تعالى، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «أبشروا بالمهديّ - قالها ثلاثاً - يخرج على حين اختلاف من الناس، وزلزالٍ شديد، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يملأ قلوب عباده عبادة، ويسعهم عدله»⁽²⁾.

والثاني المتمم له هو «اللَّهُمَّ أَظْهِرْ كَلِمَتَهُ»، بأن يكون الحاكم المطلق على البشرية، «وَأَعْلِ دَعْوَتَهُ»، فلا دعوة تنافسها، ولا نظام يتفوق عليها، ولا أفكار تصمد أمامها، «وَأَنْصُرْهُ عَلَى عَدُوِّهِ وَعَدُوِّكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ»، فالنصر بيدك ومن عندك، ﴿يَنْصُرِ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الروم: 5).

(1) نهج البلاغة، الوصية 31.

(2) الغيبة، الشيخ الطوسي، ص 176.

ثم تتابع الزيارة بالافتتاح مرةً أخرى بالصلاة على محمّد وآل محمّد، لتتّجه المطالب إلى الفرج وظهور صاحب الأمر عليه السلام، في أبهى وأعظم صورة محاطة بالإنجازات الكبيرة المتوخّاة والمتوقّعة من قيادة الإمام المهديّ عليه السلام.

• لنعيش حقيقة الآمال

إنّ ظهور الإمام عليه السلام حدثٌ استثنائيّ، تحقيقاً لوعدٍ إلهيّ، وهو مصحوبٌ بنشر الهدى والأمن والخيرات، وتحقيق المنظومة الإلهيّة المنسجمة مع انتصار الحقّ عندما تنهياً له الثلّة المؤمنة ويظهر قائدها. ترشدنا الزيارة لنسأل الله تعالى أن نعيش مع القائد المسدّد حقيقة الآمال التي وُعدنا بها أو نتوقّعها مصحوبة بأفضل النتائج، ومنها:

أولاً: «وَأَظْهَرَ كَلِمَتَكَ التَّامَّةَ، وَمَغَيَّبَكَ فِي أَرْضِكَ، الْخَائِفَ الْمُتَرْقِبَ»: هي البداية المنتظرة ليظهر القائم عليه السلام، ويتحقّق الفرج، والنهاية ليتحقّق وعد الله تعالى بتعميم العدل على الأرض؛ وهو وعد لم يتحقّق إلى الآن، ولكنّه سيتحقّق بإذن الله تعالى. وقد روي أنّ عليّاً عليه السلام تلا قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: 33)، وسأل الحاضرين بمجلسه: أظْهَر بعد ذلك؟ قالوا: نعم. فقال: كلّاً، فوالذي نفسي بيده، حتّى لا تبقى قرية إلّا ويُنَادى فيها بشهادة أن لا إله إلّا الله، بكرّةً وعشيّاً⁽¹⁾.

(1) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسيّ، ج9، ص464.

ثانياً: «اللَّهُمَّ انْصُرْهُ نَصْرًا عَزِيزًا، وَافْتَحْ لَهُ فَتْحًا يَسِيرًا»: النصر العزيز هو النصر الواضح، الذي تكتمل فيه كل عناصر الفوز. وقد خاطب الله تعالى نبيه محمداً ﷺ في فتح مكة قائلاً: ﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ (الفتح: 3). هذا النصر مصحوب بالفتح اليسير، وسهولة تحقيقه في سرعة انهزام الأعداء.

ثالثاً: «اللَّهُمَّ وَأَعِزَّ بِهِ الدِّينَ بَعْدَ الْخُمُولِ»: لا يكون الدين مسيطراً قبل الظهور، وإن كانت له منعة وحضور عند المؤمنين الخُلص في بعض بلدان العالم وبشكل محدود، وهذا ما عبّرت عنه الزيارة بالخمول، الذي يتبدّد مع إعزاز الله تعالى لدينه، وإظهاره على ما عداه.

رابعاً: «وَأَطْلِعْ بِهِ الْحَقَّ بَعْدَ الْأُفُولِ»: فقد استبدل الناس الحقّ بالباطل، ولا يعود الحقّ عامّاً وظاهراً على كلّ الأفكار الأخرى إلّا مع وليّ الأمر الحجة ﷺ.

خامساً: «وَأَجَلِ بِهِ الظُّلْمَةَ»: الإيمان نورٌ، والكفر والضلال ظلام، ولا يبدّد الظلمة إلّا نور الإيمان المتجلّي بالإمام المعصوم المنتظر ﷺ.

سادساً: «وَاكْشِفْ بِهِ الْعُمَةَ»: إذ من الطبيعي أن تكون الأحزان محيطة بالمؤمنين بسبب الضلال والفساد، ثمّ تنكشف الأعباء والأحزان مع الإمام، فهو كشاف الطريق إلى الله تعالى، وطمأنينة النفس في حياتها تحت ظلاله.

سابعاً: «اللَّهُمَّ وَآمِنْ بِهِ الْبِلَادَ»: في الحديث: «مَنْ أَصْبَحَ مُعَافَى

في جسده، آمناً في سربه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا»⁽¹⁾. فالأمن ركن الحياة السعيدة، وهو أحد أبرز إنجازات الإمام لجميع الرعية.

ثامناً: «وَاهِدْ بِهِ الْعِبَادَ»: قال الله تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة: 16)، فالسبيل الواضح مع الإمام ﷺ، ومع هذا السبيل يسقط الدجالون والمنافقون، ويهتدي به المؤمنون، فالحمد لله على نعمة الهداية التامة بحضوره.

تاسعاً: «اللَّهُمَّ املأ بِهِ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا، إِنَّكَ سَمِيعٌ مُجِيبٌ»: يا رب، ما أسعدنا بانتشار العدل على الأرض! فهذا المشهد لم نعرفه في التاريخ، وهو وعدك للقدام من الزمان، إِنَّكَ السميع المجيب لدعوات المؤمنين.

تعلّمنا الزيارة عيش الأمل لتحقيق الآمال، فعن رسول الله ﷺ: «الأمل رحمة لأمتي، ولولا الأمل ما رَضَّتْ والدّة ولدها، ولا غَرَسَ غارسُ شجرة»⁽²⁾.

وقد حفلت الآيات والروايات بالتهيئة لتحقيق هذه الآمال، وهو وعد الله تعالى الذي لا يخلف وعده، ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: 6). وما انتظار الفرج إلا جزء من هذه الآمال الحقيقية.

(1) الخصال، الشيخ الصدوق، ص 161.

(2) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج 74، ص 173.

بهذه الروحية، وعيش الإيمان والتقوى، ندخل الحرم الشريف،
 «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَلِيَّ اللَّهِ، إِثْنُ لَوْلِيكَ فِي الدُّخُولِ إِلَى حَرَمِكَ،
 صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَعَلَى آبَائِكَ الطَّاهِرِينَ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ»،
 ونعيش حياتنا كذلك.





جاء حثّ المؤمن على أن يبحث عن إمام زمانه؛
ليعرف طريق الخلاص الحقيقي، ويستقيم
مساره في الدنيا، وإلا مات ميتة جاهليّة؛ لأنّ أيّ
خيار لا يوصل إلى المعصوم خيار ناقص
وخطيء، ويفضي إلى تراكم الانحراف بسبب
العجز والجهل، فيؤدّي إلى خيار مختلف عن
الإسلام، وهو خيار الجاهلية.

من الكتاب



جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
AL - MAAREF ISLAMIC CULTURAL ASSOCIATION

لبنان - بيروت - العمورة - الشارع العام
تلفون: 471070 1 961 + فاكس: 476142 1 961 +
www.almaaref.org.lb
Email: info@almaaref.org.lb



9 786144 674307